دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

كيف نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس؟

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

كيف نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس؟

"وأما أنتم أيها الأحباء فابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس،
مُصلّين في الروح القدس"
(يهوذا ٢٠)

الأب متى المسكين

كتاب: **كيف نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس؟**
المؤلف: **الأب متى المسكين**
الطبعة الأولى: ٢٠٠٠
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون
ص. ب ٢٧٨٠ ــ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٠/٩٠١٣
الترقيم الدولي: ٣ ــ ٠٨٦ ــ ٢٤٠ ــ ٩٧٧

الإيمان المسيحي شقّان:

الشق الأول: وهو الإيمان اللاهوتي العقائدي الكنسي العام الذي يعبِّر عنه بولس الرسول: «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤:١٣)، وهو مضمون الاستعلانات التي عبَّر بها المسيح عن ماهية شخصه وعلاقته بالآب وقدراته وسلطانه، وهو مجمل ما حُدِّد في الأناجيل الأربعة عن ماهية الله الآب والابن والروح القدس الثالوث الأقدس المساوي الواحد الذاتي. مُضافاً إلى مُجمل ما استقرّ في لاهوت الكنيسة عن المجامع المسكونية المُعترف بها، وما استلمته الكنيسة عن التقليد الكنسي الآبائي الرسمي المعترف به في الكنيسة والالتزام بحدوده.

والشق الثاني: وهو الإيمان الشخصي الذي يُعبِّر به المؤمن عن علاقته الخاصة بالآب والابن والروح القدس، ومدى اعتماده على الله والمسيح وفاعلية الروح في تفكيره وسلوكه وكلامه، ومقدار شهادته للمسيح أمام الآخرين بأعماله وسلوكه وأقواله.

على أنه قد اتُفِق على أن الإيمان المسيحي للفرد المؤمن يوزَن بالموازين الآتية:

أولاً: الأخطاء الروحية والعثرات الواضحة والانزلاق في الخطايا والزلات، إنْ علناً، وإن سرًّا.

ثانياً: مدى صلة المؤمن بالكنيسة.

ثالثاً: الميزان الإيماني الذي يكشف انفعالات النفس البشرية لدى المؤمن.

رابعاً: مدى انفعالات المسيحي المؤمن إزاء البغضة والغضب والخوف والرُّعبة من المرض والظلام والموت والدينونة.

خامساً: مدى ثقته بالخلاص، وبالتالي حفظ العناية الإلهية والاعتماد على إرشاد الله، وفرحه بالنصيب الصالح المُعدّ، واشتياقه ليكون مع المسيح هنا وفي السماء.

سادساً: مدى الحب الذي يفيض من قلب المسيحي المؤمن لكل مَنْ يراه ويتعرَّف عليه، مستهيناً بالعقبات والاضطهادات والمقاومات، ومع الحب التواضع والاحتمال والصبر وتصديق الآخرين وبساطة الأطفال.

سابعاً: مواقف الإنسان تجاه الضيقات والتعديات والاضطهادات والإهانات والشتيمة والاتهامات الكاذبة والمحن المختلفة. وكذلك احتمال الأمراض التي يُبتلَى بها والعاهات والعيوب الخِلقية وعدم ردّ الشر بالشر أو التهديد والوعيد.

ثامناً: الغاية والطريق: أنت تختار الغاية والمسيح يُحدِّد الطريق الذي يؤدِّي إلى الغاية التي تريد.

وقد خصَّصنا هذه المقالة لعرض لمحة عن الإيمان الشخصي: ما له وما عليه. عبوراً على المفردات ـ دون التعمُّق في الكشف والدراسة ـ بما تحتمله مقالة.

□ □ □

أولاً: الأخطاء الروحية والعثرات الواضحة والانزلاق في الخطايا والزلات، إنْ علناً، وإنْ سرًّا:

هذا أول عَرَض من أعراض اهتزاز الإيمان والافتقار لمفاعيله، لأن أول مفاعيل الإيمان هو قطع دابر العثرات والخطايا، مِن: كذب وسرقة وتزييف وتحايُل، ومكر وخداع وغش، ولف ودوران في الكلام لإخفاء الحقيقة، وتزكية الذات؛ وهذه كلها من نشاطات الشيطان الذي يكون قد استولى على النفس واستعبدها لاتجاهاته، وبالتالي ركبها كمطيَّة يُسيِّرها في الظلام بعيداً عن النور حتى لا يُشرق عليها نور المسيح! وحتى يستبدّ الشيطان بها أخيراً ويجرَّها وراءه ويلقيها في جهنم مثواه هو وكل جنوده وأعوانه ومريديه.

فالآن، احذر أيها الإنسان المسيحي أن تنساق وراء هذه العثرات والخطايا. قِفْ وقفة أسدٍ وارفض أن تكون مطية يمتطيها الشيطان، فقد دُعِيَ المسيح: "الأسد الخارج من سبط يهوذا"، وأتباع المسيح يلزم أن يكونوا أسوداً شديدي البأس والبطش بكل أعمال الشيطان، وإلاَّ فلماذا الصليب الذي ذُبِح عليه المسيح لكي يظفر بالشيطان وكل أعماله؟ فاعلم من الآن أن الشيطان منهزم تحت رجليك بصليب المسيح: «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً. نعمة ربنا يسوع المسيح معكم. آمين.» (رو ١٦: ٢٠)

ولكن كيف يتدخل المسيح بنعمته في حياتك ليسحق لك الشيطان تحت رجليك سريعاً؟

بإيمانك بالمسيح، إيمان التشبث القلبي بالدعاء، بالصراخ، بالصوم، بالصمت وترديد اسم يسوع المسيح ليل نهار، حتى يهرب منك المجرِّب الذي يودُّ أن يُخرِّب حياتك من البداية. واعلم أن هذا الكلام من جهة الكذب والسرقة والغش والمكر والخداع، لا يليق بالشباب البالغ الناضج، فهذه تكون فضيحة لأن هذه الخطايا خاصة بالأولاد الصغار وبالأطفال في القامة الروحية الذين يحتال عليهم الشيطان في غياب مَنْ يُعلِّم ويؤدِّب ويُربِّي. ولكن ما عذرك أنت وقد صرتَ شاباً أو رجلاً. فاعلم تماماً أن هذه النقيصة تحجب عنك صفة الرجولة، بل تلغي منك كلمة "مسيحي"!!! فالمسيحي إنسانٌ قد غلب الشيطان وتركه ليس مغلوباً تحت رجليه. هل تقبل أن تكون تلميذاً أو مريداً أو عوناً للشيطان للكرازة بأعماله وسط الناس؟ أنت ابن للمسيح الذي ذُبح ليُحرِّرك نهائياً من سطوة الشيطان الكذَّاب وأبي كل كذَّاب، القتَّال لَلناس منذ البدء. واعلم أن الإيمان بالمسيح وبصليب المسيح من القلب كفيلٌ أن يسحق الشيطان تحت رجليك بكل أعماله وأفكاره وأوهامه وشهواته وملذَّاته القاتلة.

وعليك أن تفهم وتعي وتتأكد أن الذي يُخطئ ضد وصايا المسيح هو الإنسان العتيق الذي أماته المسيح على الصليب وأعطاك بقيامته إنساناً جديداً، خليقة روحية جديدة منتمية للمسيح ومن جسده. وهبها الله لك لتحيا بها هنا وفي السماء على أن تحفظها كحدقة عينيك من الشيطان وكل أعماله لتؤهَّل بها أخيراً للجلوس مع المسيح عن يمين الله. فماذا أنت فاعل إن كنت تستهين بهذه الخلقة الجديدة وتخطئ بها وتفسدها وتُملِّك

فيها الخطيـة وتستعبدها للشيطان بعد أن حرَّرك منه المسيح ومن كل أعماله، ووهبك قداسته وطهارته وبرَّه وحياته الأبدية؟ فأنت مدعو اليوم لمقاومة الإنسان العتيق فيك: اجحده، احتقره، ازدري به، أو كما يقول بولس الرسول: «أَقمع جسدي وأستعبده» (١كو ٩:٢٧)، وأربط فكرك وأعضاءك بصليب المسيح ولا تتهاون مع الخطية. فالمسيح يقول: إن أعثرتك عينك فاقلعها أو يدك فاقطعها وألقها عنك، بمعنى المقاومة حتى الدم أفضل من أن تودي بك إلى جهنم. إلى هذا الحد ينصحك المسيح أن تكون رقيباً ومؤدِّباً، منتهراً لنفسك وجسدك، لأنه بدون قداسة لن تستطيع أن ترى الله (عب ١٢:١٤). فمَنْ أراد أن يسير في نور المسيح، يلزمه أن يجحد الظلمة وأعمالها. وافهم واعلم أن المسيح أعطاك نعمة وشركة في قيامته وحياته وبنوَّته، فأنت ابن النور!

أُشير عليك أن تلبس صليباً فوق قلبك ليُذكِّرك أنك قد وضعت نفسك لخدمة الحق والصدق والأمانة والإيمان الحسن!

وإنْ زلَّ لسانك أو فكرك بكذب أو غضبتَ أو شتمتَ، اكتب خطيتك واعترف بها للكاهن حتى يعطيك حلَّ المسيح وغفرانه وبركته، فيُقدِّس نفسك بالحق!

ثانياً: مدى صلة المؤمن بالكنيسة:

قبل أن أتكلَّم عن الإيمان الشخصي يلزم بالضرورة القصوى أن يدرس المؤمن دراسة واعية مفردات ومقولات الإيمان اللاهوتي الكنسي العام ويتفهَّمه ويستوعبه استيعاب الفكر المنفتح والقلب المستوعب دون أي مناقشة؛ فهي الثوابت اللاهوتية الحياتية التي تهب الإنسان استنارة رؤيوية، تماماً كإنسان كان في عتمة الليل وأشرقت عليه شمس البر لتضيء له سماء

الروح فيُدرك فيها الله الآب الذاتي أبا الخليقة كلها مما في السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، والذي منه تدعى كل أُبوَّة في السماء والأرض، وابنه يسوع المسيح الكلمة الذاتي الأزلي الخالد الذي منه وفيه تُدعى كل بنوَّة في السماء والأرض، الذي به خلق الآب كل شيء وبدونه لم يكن شيء مما كان، وفيه وبه كانت الحياة. والحياة في طبيعتها كانت هي نور الإنسان، سواء الحياة الروحية المدعوة بالأبدية أي الحياة الدائمة التي فيها قوام اللاهوت وكل ما يتصل به، أو الحياة الأرضية وكل ما هو حيٌّ فيها؛ والروح القدس، الأقنوم الذاتي الثالث في الله الأزلي الذاتي. هذه الأقانيم الثلاثة هي للإله الواحد، ذات واحدة وحيدة: آب وابن وروح قدس، كل أقنوم يعمل في الله وبالله في وحدة الفكر والمشيئة والقول والعمل لخلقة العالم والإنسان، وتكميل الخليقة والانتقال بها من تراب المادة الزمنية الأولية على الأرض التي خُلقت منها زمنياً، إلى خليقة جديدة بالروح الأبدية التي خُلقت لها الخليقة لتصير وتبقى روحية في السماء.

وقد اضطلع الابن بمشورة الآب الأزلية أن يقوم بهذه النقلة العُظمى للخليقة كلها من تراب الأرض إلى سماء الخلود لحساب الآب، فكان تجسُّد الابن في هيئة إنسان ليجمع في نفسه وبقوة لاهوته كل بني الإنسان، وبالتالي الخليقة الترابية كلها: «فإنه فيه خلِق الكل: ما في السموات وما على الأرض، ما يُرَى وما لا يُرَى، سواءٌ كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلِق. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل. وهو رأس الجسد: الكنيسة. الذي هو البداءة، بِكْرٌ من الأموات، لكي يكون هو مُتقدِّماً في كل شيء. لأنه فيه سُرَّ أن يَحِلَّ كل الملء، وأن يُصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته،

سواءٌ كان ما على الأرض، أم ما في السموات» (كو ١:١٦–٢٠).
فكانت فدية العالم المخلوق جميعاً بصليب المسيح حسب قول الرب يسوع: «لأنه هكذا أحب الله **العالم** حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو ٣:١٦)

فدم المسيح المسفوك على الصليب قد غسل قذر الإنسان وكل نقائصه التي تحرمه من الانتقال إلى الروح، كما غسل تراب الأرض وكل ما خُلِق منها غسيل الحياة للموت. فالمادة ميِّتة أيًّا كانت، سواء في الإنسان أو في العالم. والحياة الأبدية الإلهية في دم المسيح قد غسلت موت الإنسان والعالم ورفعت عنه كل نقائصه لترفعه للحياة الروحية الجديدة: سماء جديدة روحية وأرض جديدة روحية وإنسان جديد روحي، عالم جديد روحي يليق بالحياة مع الله وملائكته المقدَّسين.

هذه الجعالة (الجزاء) يشرحها الإنجيل بالتفصيل، وتُقنِّنها المجامع المسكونية، ويفسِّرها الآباء الأوائل القدِّيسون. والكنيسة قد اختزنت هذا كله في تقليدها الذي استلمته من جيل إلى جيل لتسقيه لأولادها ليصيروا بني الملكوت. وهذا أتركه الآن للانتقال إلى الإيمان الخاص الفردي الذي نحيا بمقتضاه.

والآن يتحتَّم عليك أن تعرف: **ما هي الكنيسة روحياً**؟ فهي "بيت الله": «بيتي بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب» (إش ٥٦:٧). هي ملكوت الله على الأرض، هي جسد المسيح السرِّي، هي عروس المسيح التي من لحمه وعظامه، هي المسيح وهي القديسون جميعاً، وهي أنت وأنا. فالكنيسة تجمع جميع أهل بيت الله، وموطنها الحقيقي هو في السماء، وهي هنا متغربة على الأرض، ولكن سوف تُخطف وتوجد فوق يوماً ما. فإنْ

كنتَ فيها ابناً لها ومُحِباً لترابها وحجارتها وعريسها، فأنت ابن أورشليم السمائية عروس المسيح التي ستتجلّى يوم ظهور المسيح فيها.

مولد الكنيسة كان يوم أن وضعت العذراء طفلها في مغارة بيت لحم، وصارت مع الأيام والسنين جبلاً يملأ الأرض (دا ٢:٣٥) ومرتفعاً حتى أعلى السموات. يقول عنها بولس الرسول في رسالة أفسس أنها: «ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١:٢٣)، لأن رأسها المسيح وجسدها جسد المسيح، وملائكة ورؤساء ملائكة تشتهي أن تطّلع على أسرارها ولكنها قد حُفظت لك.

فسرُّ التناول فيها أي **الإفخارستيا**، أو **سر المعمودية** الذي عَبَرْته وأنت طفل هي أسرارك الخاصة وفيها ملء المسيح، تخدمها الملائكة ولكن تتناولها أنت! تأكل جسد المسيح وتشرب دمه من كأس الخلاص، فتثبت في المسيح ويصير المسيح فيك وأنت فيه، والملائكة تقف تخدم العتيدين أن ينالوا سر الخلاص!

أما المعمودية فهي ثوب البر بالإيمان، والإفخارستيا درع الحق للخلاص، والقداس في الكنيسة احتفال مقدَّس سماوي تخدمه الملائكة، لأن المسيح فيه يكون واقفاً على المذبح يوزِّع جسده ودمه بيديه، وأنت تدور حول المذبح كعروس تُزف للمسيح ليصبغك بالدم عربون فداء أبدي لنوال شركة حياة أبدية مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. هذا الاحتفال هو سَبْق تذوُّق مسرَّات الملكوت وأعياده.

في الكنيسة تسمع الكلمة كوعظ، والكلمة محسوبة في اللاهوت خبراً إلهياً إذا استقر في القلب يكون هو مادة الإيمان لأن الإيمان بالخبر والخبر

بكلمة الله (رو ١٠: ١٧). فأنت بالوعظ الدائم تُبنى على الإيمان الأقدس والكلمة تغذيك وتطعمك بطعام الحق فتحيا فيما لله. والكلمة بحسب الإنجيل ووعد الله تؤكل فتغذّي العقل الروحي، فيصير للإنسان بالكلمة والإيمان بالحق انفتاح للوعي الروحي، والوعي الروحي هو سر فهم كلام الله والإنجيل «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.» (لو ٢٤: ٤٥)

وكلام الإنجيل هو ثدي السماء، أسماه القديس بطرس: «اللبن العقلي العديم الغش» (١بط ٢: ٢). هذا الكلام هو من بدائع قول الإنجيل: «افرحوا مع أورشليم (الكنيسة) وابتهجوا معها يا جميع مُحبيها. افرحوا معها فرحاً يا جميع النائحين عليها (على حال الكنيسة اليوم)، لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدي تعزياتها. لكي تعصروا وتتلذّذوا من دِرَّة (ضرع) مجدها.» (إش ٦٦: ١٠و١١)

اسمع يا مَنْ صرتَ ابناً لله "حسب مسرَّة الآب"، أنت مفديٌّ بالنعمة وابن الخلاص، إذا لم تكن بعد قد نَقَشْتَ اسمك على حجارة أساسها وأعمدتها السبعة، لتكون حجراً حيًّا من أحجار الكنيسة، فأنت متغرِّب عن السماء ومحسوب خارج الأسوار. فأنت مدعو اليوم لتنقش اسمك على حجارة أساساتها، لا يحزنك رَدَاءة سُمعتها ولا يضلِّك سوء معاملتها فهي «سوداء وجميلة» (نش ١: ٥). العدو جاء في ليل الزمان وزرع فيها زواناً، فما لنا والزوان. فحبَّة الحنطة وقعتْ فيها وماتت. والآن كلها سنابل نعمة وطحين مجد، وخبزها كله خبز وجوه مُقدَّم لله، لا يأكله إلاَّ المقدَّسون. فاخطف نصيبك منها، ودَعْ عنك الزوان إلى وقت الحصاد. اشبعْ من قمحها وطحينها، واشرب ملء روحك من ماء الحياة فيها. فأنت أنت مدعو ليخرج من بطنك أنهار ماء حيّ تسقي العطشانين. ألم يَقُل المسيح

إن ملكوت السموات يُغتصَب والغاصبون يختطفونه، ومِمَّنْ يختطفونه؟ أليس من الأعداء الذين يمنعون الداخلين يدخلون. قُمْ اسْعَ وخُذْ نصيبك وثبِّت أقدامك واحجز دورك. فالكنيسة لن تجري وراءك، إجري أنت واغتصب ما لك فيها لئلا يضيع عليك.

عليك أن تتحايل بكل وسيلة وتصاغُر قلب وانسحاق نفس أن تسمع بأُذنك من فم الكاهن: "مغفورة لك خطاياك"، لأن ما يقوله الكاهن تُردِّده السماء. هذا ما قصده المسيح من إعطاء الحلّ والربط للرسل والأساقفة والكهنة، وإنْ كان ما يحلُّونه ويغفرونه على الأرض يكون محلولاً ومغفوراً في السماء، فذلك حتى يسمع الخاطئ بأُذنيه أن حلَّ وغفران خطاياه قد تسجَّل له في السماء ومن فم الله!

شروط أخذ الاعتراف:

وهنا يلزم أن يُدرك الكاهن أنَّ أخذ الاعتراف حسب الإيمان الأرثوذكسي الصحيح، أي حسب الإنجيل والآباء والتقليد؛ هو بأن يسمع الكاهن الخطايا **فقط** ويُعطي الحلّ والغفران مباشرة، ولا يتدخل في حياة المعترِف سواء كان رجلاً أو امرأة بأي حالٍ من الأحوال، ولا يسأل كيف ومتى ولماذا وما بعد ذلك! وإلاَّ يكون قد تعدَّى وظيفته ككاهن ودخل في وظيفة المحلل النفساني وأصول علم النفس التي لا يقدر عليها حتى العالِم النفساني. الكاهن يسمع الخطايا **فقط** وكأنه بسَمْعه للخطايا يبلِّغها للمسيح في السماء، وبقوله: "الله يحالِّك" و"مغفورةٌ لك خطاياك"، تكون قد بَلَغتْ أسماع المسيح وتمَّ الحلّ والغفران. وأي خروج عن هذا يُحسب ضد أخلاق الكاهن كمَنْ يجري وراء سماع الخطايا وما خفي وراءها. وبسبب خروج بعض الكهنة عن أمانة تأدية أخذ الاعترافات وإفشاء

أسرارها، توقّف سر الاعتراف في الكنيسة القبطية لعدة قرون، وبدأ مرة أخرى في بداية القرن الثالث عشر بعد توقّفه ربما لسبعة قرون أو أكثر. ويدلّنا كتاب: "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" لكاهن الكنيسة المعلّقة ابن كبر، الذي سجّل فيه أسرار الكنيسة الكائنة في الكنيسة وقتئذ، أي في القرن الثاني عشر؛ أنه لم يُذكر ضمن الأسرار سر الاعتراف، مما يدلّنا أنه قد استؤنف بعد هذا التاريخ.

والكاهن لا يُعلّق على الخطايا بعد سماعها ومغفرتها إلاّ بقول المسيح: "لا تخطئ أيضاً". فليس هذا مجال الوعظ والإرشاد. فاعتراف الخطايا رهيب، إذ ينقل من الدينونة إلى الحياة.

عدو الكنيسة:

ولكن عندي كلمة لأصحاب التليفزيون: إنهم أدخلوا العدو بيتهم رسمياً، عدواً يهدم كل ما تبنيه الكنيسة بوعظها وتعليمها وغفراناتها، ومِعْوَل هدم لكل ما يبنيه الكتاب المقدس. وسيقف التليفزيون يوم الدين يشهد على الآباء والأمهات الذين اقتنوه، أنهم خانوا العهد وعبدوا الأصنام واستهانوا بالقداسة والمقدّسات وازدروا بالدم المقدّس ونجّسوا أعينهم وآذانهم، لكي لا تعود ترى النور أو تسمع صوت الله، وسلّموا أولادهم لمدرسة الزنا ولن يستطيع أن يتشفّع فيهم لا ملاك ولا قديس.

قصة في الموضوع:

قَرَأَتْ إحدى الأُسر في فرنسا مقالة روحية مؤثّرة، فقالت الزوجة الفرنسية لزوجها الفرنسي: أتوافق معي على التخلّص من التليفزيون. فقال لها: موافق. فأخذ الزوج التليفزيون في المساء ونزل من المنزل ووضعه على الرصيف وصعد سريعاً إلى شقته، ووقف مع زوجته في النافذة يترقّبون

مصير التليفزيون الثمين. فمرَّ عليه الكثيرون مندهشين، وأخيراً تـردَّد رجـل ووقف أمامه مدة، وبعد قليل حمله وذهب مسرعاً. فقاموا وصلّوا وعملـوا حفلة تجديد للحياة، وأرسلوا إلينا لنفرح معهم!

ثالثاً: الميزان الإيماني الذي يكشف انفعالات النفس البشرية لدى المؤمن:

ما مدى حُكْم فكـر الإنسـان علـى الأمـور الأخلاقيـة بقيـاس الحـق في الإنجيل؟ ثم ما مدى يقظة الضمير في الاندماج مع الانحرافات في الأوسـاط والمجتمعات التي يغشاها، ومستوى تعفّفه وضبطه لنفسه؟

هنا يتحكّم في انفعالات النفس مدى تربية الأب والأُم والإخوة الأكـبر في السن منذ السن الصغير جداً، منذ الرضاعة وبداية التكلّم والمشـي. فـإن غابت التربية الأُسرية السليمة علـى مسـتوى الإنجيـل، تحكّمـت في النفـس عوامل الميراث الإنساني شبه الطبيعية الحيوانية التلقائية، والتشبُّه بـالآخرين، والتقاط الأمثلة الرديئة، خصوصاً الـتي تثـير انتباه الطفـل؛ ليصبـح تهذيـب مدارس الأحـد بعـد ذلـك مـن أصعـب مـا يمكـن، حيـث بحسـب نـاموس الأخلاق "الطبـع يغلـب التطبُّـع"، وتدخـل الـدروس والأمثلـة والـتراتيل في عراك مع الأخلاق الموروثة والطبيعية الأُسرية الأخلاقية المُنحلة. هنـا تعليـم الطفل الصلاة والطاعة للتعليـم وتقديـس أمثلـة الإنجيـل تسـتطيع أن تقتلـع أشواك الطبع والميراث الطبيعي، ليبدأ بناء النفس على توقير الإنجيل والأمثلة المقدسة بالتشجيعات المتعدِّدة حتى ترسخ في النفس الصور المتعدِّدة الصالحة التي تكون قد انطبعت في الفكر والنفس والقلب مع الترانيم المستمرة.

فإذا لم ينجـح الطفـل ولم تنجـح الأسـرة ولم تنجـح مـدارس الأحـد في القيام بهـذه العمليـة الأساسـية في بنـاء الأسـاس الأول للسـلوك الأخلاقـي الصالح وغرس المفهومات الأخلاقية الصالحة وتهذيب النفس لتقبـل الأمثلـة

العُليا، ولتوقّر الإنجيل والله والمسيح والقديسين، فإذا أخفقت كل الوسائط في ربط الأخلاق بمصدرها الإنجيلي، وفي بناء النفس على أساس إيماني سليم؛ فسنجد بعد ذلك شاباً غريباً عن الله والمسيح والإنجيل والحق والصلاح والإيمان، تلعب به انفعالاته وتنساق وراء كل ريح، ويجذبها الشر أكثر من الخير بلا ضابط.

وباختبار مثل هذا الشاب لا نجد له حُكْماً ثابتاً على الأمور، تغلبه الأمثلة البلدية التي يسمعها من أفواه الأقارب ورجال وأولاد الحارة والشارع، ويحتقر التعفف والأخلاق الجيدة لأنها أرفع منه؛ بل ويتعالى على الآخرين لعجزه عن فهمهم أو التوافق معهم، ويختفي الحق الإنجيلي تماماً عن أُفق حياته ويصبح الإيمان المسيحي عدواً له، يكرهه لأنه يتعارَض مع طباعه وأخلاقه وميوله وشهواته التي استبدَّ بها الشيطان؛ وفي غياب الإيمان والحق والإنجيل والأمثلة الصالحة، تتعبَّأ النفس بنقائص الأخلاق والسلوك والتعبيرات ولا يشعر أنه بذلك قد صار غريباً عن المسيح والمسيحية والكنيسة، فيهجرها. والمصيبة العظمى أن تجري محاولات إقناع مثل هذا الشاب ـ وكثيرون اقتنعوا ـ أن يدخل الكنيسة لينصلح حاله، وهيهات.

أما الطفل الذي قد رضع مع لبن الأُم حنانها وحبّها وتدليلها وانتهارها وتأديبها عند أي غلطة، وامتدت له يد الأب للتهذيب والتعليم والتوعية والترهيب والترغيب والتأديب الصارم مع الحب الصادق والعطف الأبوي الأصيل، ثم تلقّفته يد مدارس الأحد بتقديم أول الأمثلة الطيِّبة من المدرسين والمدرسات بنظراتهم وأصواتهم الحانية والمحبة الصادقة واللطف والتودُّد؛ فأول انطباع ينطبع به قلب الولد أو البنت هو صورة المعلمة أو

المعلم اللطيف المُحِب المؤدِّب الخائف الله، يمتص انتباهه بصوته الرخيم وحركاته الوديعة الهادئة ونظراته المرفوعة دائماً إلى السماء. فيربط الطفل بين هذا الجمال والحلاوة الأخلاقية والحب بمصدرها الآتي من فوق، ومن داخل الترنيمة يبدأ بناء الأخلاق والسلوك، ومن داخل القصة يستلم المثل الصالح، ومن واقع المدرس والمدرِّسة يرتبط المثل الصالح بالنموذج الصالح فيرسخ في ضمير الطفل أن الصلاح في القصة له وجود حيّ أمامه يلتقطه مُجبراً لنوعٍ من المحاكاة التي يبرع فيها الطفل بنعمة الله.

وتدخل مفردات الإيمان سهلة قوية مكمِّلة لكلمة الأب والأُم والأخ والمدرس، وتدخل استجابة الصلاة في ذهن الولد مع ما يُقدِّمه المدرس من إجابات على أسئلة الطفل لتبني أخلاق الطفل على أساس الإيمان القويم.

وتحضرني هنا قصة مدرِّس مدارس أحد أراد أن يُعلِّم أولاده استجابة الإيمان مهما عظم الطلب. فوقف أمام الأولاد وأخرج من جيبه ساعة بكاتينة جميلة كساعات زمان، وأمسك بها من طرفها وقال للأولاد: مَنْ الذي يريد أن يأخذ هذه الساعة يا أولاد؟ فنظر الأولاد إلى بعضهم واعتبروا أن هذا مجرد كلام، ولكن قام أحد الأولاد وقال: أنا أريد أن آخذها يا أستاذ. فقال له المدرس: تعالَ وخُذْها! فجاء إليه وأعطاه الساعة وذهب بها الولد وجلس يتفرَّس فيها. وهنا انبرى التلاميذ يعارضون. فقال أحدهم: هل هذا صحيح يا أستاذ؟ فقال: نعم. وسأل الآخر: لماذا أعطيته هذه الساعة يا أستاذ؟ فأجاب: لأنه قد طلبها بإيمان. وسأل آخر: هل ستعطيها له على طول؟ قال: نعم، بالحق هي أصبحت مِلْكه لأنه طلبها لتكون له! ولم يستردها منه أبداً، وانتهت القصة!

يُفهم من هذا أن القصص التي تُقال للأولاد يتحتَّم أن تكون على أساس

بناء النفس، وأن يكون عنصر الإيمان فيها واضحاً وغالباً، وأن يتحرَّى المدرس منتهى الصدق والدقة والأمانة والشرف والطهارة في معاملة الأولاد، لأن هذا أهم من الدرس الذي يعطيه لأنه يدمغ الدرس بالحق والصدق والأمانة.

فيأتينا الشاب المتخرِّج من مدارس الأحد الذي تلقَّى تدريباته في المنزل عن أبوين تقيَّين، وفي المدرسة عن خادم أو خادمة كانوا نِعْم المثل الأعلى الإنجيلي المسيحي الإيماني، فيسهل تسليمه ليد المسيح ليدخل مدرسة القديسين العُليا ليتعلَّم الصلاة بالروح تكميلاً للبناء على الإيمان الأقدس الذي بناه، فيدخل في عهود الرب ويذوق ويعيش في النعمة وتُبنى به كنيسة المسيح، ويُعطِي هو بنفسه المثل الصالح للإنسان الإنجيلي الذي حفر وعمَّق وبنى بيته على الصخر استعدادًا لأعنف التجارب لكي يخرج منها جميعها مزكًى.

ولكن، بآنٍ واحد، يأتينا الشاب المتخرِّج من تحت يد أب منحل وأُم منحلة لا يقرآنّ الإنجيل ولا يعرفان طريق الكنيسة، وإنْ أتى إليهما الكاهن زائراً في أيام الصوم ليعمل القنديل يدسُّون في جيبه ما رُزِق، ويخرج قانعاً بما أخذ، ولا يسأل عن حال البيت ومصير الأولاد؛ فيشبّ الأطفال غرباء عن الكاهن والكنيسة في جوٍّ ملوَّث باحتقار الدين والمتدينين، ويصيرون شباباً متحرراً، لا يطيق التحدُّث عن الله والإيمان لأنها أصبحت عندهم خرافة وخاصة إذا تلقَّفهم نفرٌ من الشيوعيين أخلاقياً أو اللادينيين، فيغرسون في حياتهم الكُفر بالله والحق والأمانة، فيصبح الشاب منهم داعية لهذه الأمور. والمصيبة كل المصيبة إذا أقنعه خادم بضرورة حضور الكنيسة وبالضغط يُمارِس حضور مدارس الأحد فيعطونه فصلاً يقوم بالتدريس فيه،

فهو مُلزم بأن يُلقّن ما يقرأه في دروس مدارس الأحد ولكن الأساس الداخلي خاوٍ من أي معرفة، والإيمان بالله والمسيح والحق والحياة أمور لا يمكن التكلُّم عنها إذ لا وجود لها في القلب، غائبة غياباً كليًّا عن الضمير؛ ويُغطي هذا الشاب هذه النقائص الروحية الإيمانية بزلاقة اللسان والقدرة على إقناع الآخرين بما لا يقتنع به الشخص نفسه.

وهكذا رأينا وسمعنا كيف انزلق الجيل من عهد الغيرة الروحية وبساطة القلب في الإيمان الأقدس إلى جيل يتقن فن الكلام والمناقشة والحوار ودس أقوال الآباء لدفع الرأي بما يُبعد الشك. وهكذا ودَّعنا زمن الروح والروحيات، ودخلنا منطق الكلام المنمَّق والمقالات المُرصَّعة بالآيات وأقوال الآباء، ويخرج الجيل من القول والمقالة بلا شيء، معلّمون غائب عنهم الروح القدس ومقالات لا تساوي طباعتها. فأين البناء على الإيمان الأقدس وعلى الصلاة بالروح القدس؟ وتحريك الضمير والقلب نحو التوبة واكتشاف العيوب الخُلُقية والإمساك بالمسيح والحياة الأبدية التي دُعينا إليها كمنطق الإنجيل!

الشاب اليوم خريج التليفزيون بكل قبائحه وانحلاله وأغانيه، عبوراً بمدارس أحد تُلقّن الدروس للتدرُّج في الفصول والتخرُّج من مدارس الأحد بمعرفة ينقصها التوبة والحق والإيمان وطهارة الضمير للدخول في مجتمع يذوب فيه الشخص غير المبني على الإيمان، بل ويختفي فيه ويأخذ شكل المجتمع ومساره ولغته وأمثاله ومبادئه.

وقد كان بولس الرسول صادقاً حينما قال: «لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل» (رو ١٠:١٦)، أو «لأن الإيمان ليس للجميع!» (٢تس ٣:٢)

- هل يمكن تصفية نوعية مَنْ يدخلون مدارس الأحد؟
- هل يمكن تصفية نوعية مدرِّسي مدارس الأحد؟ وأخذ اعترافهم بدقة وتأجيل خدمتهم حتى يتم بناؤهم روحياً!
- هل يمكن مراجعة مناهج مدارس الأحد؟ حتى لا تُبنى على المعرفة بل على ممارسة الروح والحق والصدق والأمانة والحياة والمحبة.
- هل يمكن أخذ تعهُّد في عقد الزواج أن لا يقتني الزوج أو الزوجة تليفزيوناً حتى يصبح زواجهما مسيحياً حقاً؟
- هل يمكن أن يصبح من واجبات الكاهن المقدَّسة[1] أن يُرافق الزوجين في بدء حياتهما حتى يصبح الإنجيل دستور حياتهما والصلاة في مواعيدها الرسمية بعد الاستيقاظ وقبل الغذاء وقبل وبعد النوم، واقتناء الأجبية وتكميل صلواتها جميعاً، وأن تتوقّف المناولة على مدى دقة اتّباع التعليم؟
- هل يمكن أن تُكتب كتب روحية لتلقين الأطفال حينما يبدأون الكلام بمبادئ الإيمان والصلاة والمحبة؟
- هل تُكتب كتب للآباء لتلقين الأولاد كيف يقولون الحق ويتبعون الأمانة والصدق، ويأخذون عقاباً مريراً وحرماناً من الأكل إنْ انحرفوا نحو الكذب أو عدم الصدق وعدم الأمانة أو الشتيمة؟

أما الآباء والأمهات الذين يعلّمون أولادهم الشتيمة والكذب والأقوال

---

(١) قصَّت لي سيدة قصة: أنها أرادت أن لا تقتني تليفزيوناً، فقاومها ابنها البالغ ١٢ سنة حتى أضجر عليها حياتها، وهي متمسِّكة برأيها. فاتفقا أن يُحكِّما بينهما الكاهن. فذهبا إلى الكاهن، فما كان منه إلاَّ أنه جاء في صف الولد، وقال: وما له التليفزيون، أنا عندي تليفزيون!! - عِوَض الروح القدس طبعاً - كهنتك يا يسوع قد حلّلوا التليفزيون على الأرض، فهو محلولٌ في السموات. افرحوا يا أولاد!!!

القبيحة، هؤلاء دينونتهم مُرَّة وسيُعاقبون عنها بشدة هنا وهناك، لأن الوصية الأولى تقول إن مَنْ يشتم أباه أو أُمه موتاً يموت بلا رحمة رجماً بالحجارة. فماذا يكون عقاب الأب أو الأُم اللذين يعلِّمان أولادهما الشتيمة والقباحة؟ فهُم أَوْلَى بالرجم وما أشد من الرجم، إنهما يفقدان رحمة الله. وإذا صرخوا أو بكوا من تجاربهم فإن المسيح لا يسمع بل ويتخلَّى عنهم ويدخلون في تجارب مُرَّة للتأديب: «ومَنْ أعثر أحد الصغار المؤمنين بي، فخير له لو طُوِّق عُنُقُه بحجر رَحى وطُرِح في البحر» (مر ٩:٤٢). إلى هذا الحد إعثار الطفل والصبي، واقتناء التليفزيون هو مدرس خصوصي لتدريس العيب والموبقات، والذنب كله على الأبوين! بل وعلى الكنيسة!

رابعاً: مدى انفعالات المسيحي المؤمن إزاء البغضة والغضب والخوف والرعبة من المرض والظلام والموت والدينونة:

ولا نقصد بهذا الإنسان السوي أو غير السوي اجتماعياً وأخلاقياً من جهة الحياة العامة للناس، بل الذي نقصده هو حالة غياب النعمة أو غياب عمل الروح القدس في النفس الذي اكتسبه الإنسان المسيحي في المعمودية. لأن الإنسان المسيحي يكتسي في المعمودية بثوب النعمة أو البر الذي يقول عنه بولس الرسول: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣:٢٧)، وقبلها مباشرة يتكلَّم عن الإيمان هكذا: «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع» (غل ٣:٢٦)، ما معنى هذا؟ معناه أن الإيمان بالمسيح يهب قوة روحية ينالها أولاد الله في المعمودية كثوب للبر يدَّثر به المؤمن يكون له كدرع واقٍ ضد كل زعازع الحياة ومخاوفها ومناقصها. إذن، نحن لسنا بصدد مواريث صفات من الأب والأُم، ولا تعليم أخلاق

وتهذيب تربية، بل نوال قوة روحية من الله تفوق كل الصفات والأخلاق والمواريث الأرضية، وتفوق كل علم وتهذيب وأخلاق! إنها صفات وأخلاق روحانية.

كذلك نحن لا ننعي حظّنا لأننا اعتمدنا ونحن أطفال، فالمعمودية تُوهَب بتمامها وكمالها للأطفال كما للرجال، ولكن المطلوب هنا تدريس المعمودية كسرٍ من أسرار الكنيسة نلناه وسكن أنفسنا وأرواحنا، ولكن لم يسكن معرفتنا ولا إيماننا. فيتحتّم مراجعة الطفل والشاب والرجل أو المرأة في المواهب التي اكتسبها الإنسان المسيحي بالعماد ليثق بها ويتشبث بها ويتّكل عليها ويحيا بها كحقائق لا تزول. ولكي تثق، يا قارئي العزيز، فيما أقوله لك أسوق عليك قصة واقعية وصلت إلينا حديثاً:

[امرأة قَبلَت المسيح وتدرَّجت في مراقي الإيمان حتى بلغت شأواً بعيداً ومَذهلاً فنالت قوة ونعمة. وقفت تشتكي للمسيح عياناً بياناً، والمسيح ظاهرٌ أمامها، أنها مُجرَّبة بالخوف والعدو يظهر لها بصور ترعبها. فقال لها المسيح بالاسم: يا فلانة يلزم أن تعتمدي بالماء حالاً، لأنها لم تكن قد قَبلَت العماد بعد]!

فأول عمل يلقّنه الأسقف بنفسه للمُعمَّد هو كيف يجحد الشيطان وكل أعماله وأقواله وتصاويره ومخاوفه، وبعدها ينفخ الروح في أنفه، وبهذا العمل ينال المعمَّد بالمقابل قوة غلبة ونصرة على الشيطان وكل أعماله وأفكاره وتصاويره ومخاوفه. فإذا تراءى له يهزأ به كمَنْ غلب وانتصر عليه بقوة الروح القدس، لأن ما عمله الأسقف في المعمودية جليل الشأن جداً، إذ وهو حامل الروح القدس يُسلِّم المعمَّد قوته وسلطانه، أي قوة الروح القدس وسلطانه وطهارته وعفته كنعمة وموهبة تدوم بدوام

تزكية الروح فوق الجسد والانحياز للمسيح وكلمته وإنجيله، ويهبه انفتاح الوعي والبصيرة ليفهم أعماق كلمة الله وتثبت فيه، كما يعطيه الغيرة المقدسة التي للروح والحق والاستقامة، وهي كلها يأخذها الروح القدس من المسيح ويستعلنها للمعمَّد فيقبلها ويتم قول المسيح: «يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦:٥٦)(٢). هذه المفاعيل يلبسها المعمَّد يوم يلبس المسيح في المعمودية. فلِبْس المسيح يعني لِبْس قوته وصفاته وأعماله، وذلك بالإيمان الفاعل في المعمودية، فتسكنه محبة المسيح وهدوءُه وصبره وسلامه وسلطانه وغلبته للموت وعبوره للدينونة: «الحق الحق أقول لكم: إن مَنْ يسمع كلامي **ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.**» (يو ٥:٢٤)

فالإنسان المسيحي المتمسِّك بإيمان المسيح والواثق من إنجيله والمتمسِّك بمواعيده إنسان قد غلب العالم بكل زعازعه وأوهامه وتهديداته: «لأن كل مَنْ وُلِد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا» (١يو ٥:٤). "فالمسيحية موهبة إيمان وقوة تسليم للروح من خلال المعمودية بواسطة الأسقف. قد تتراخى فيها الكنيسة وتهملها وتحتقرها، ولكن المسيح يُعطي بنفسه ما تتراخى فيه الكنيسة وتهمله وتحتقره لأننا أعضاء جسده". «**مَنْ هو الذي يغلب العالم، إلاَّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله**» (١يو ٥:٥). ثم يوضِّح القديس يوحنا السبب: «**لأجل هذا أُظْهِرَ ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس.**» (١يو ٣:٨)

---

(٢) الذي يقرأ أعمال شهداء قرطاجنة، وكيف قابلوا الموت أمام الوحوش التي مزَّقت أجسادهم، وكيف كانوا يتبارون في اختيار الوحوش التي سوف تفترسهم؛ يُذهل جداً لأنهم كانوا في درجة **الموعوظين** الذين تلقَّنوا الإيمان فقط!

ويعود القديس يوحنا ويعرج على المعمودية ويسمّيها "المسحة": «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء» (١يو ٢: ٢٠)، لأنه معروف أنه في المعمودية، بالإضافة إلى أن الأسقف يُلقّن المتقدِّم للمعمودية كل معرفة الإيمان والخلاص وكل وصايا الإنجيل، فإنه يمسحه برسم الصليب بزيت الميرون وبالروح القدس الذي فيه؛ فيتقبَّل المعمَّد الروح القدس بكل مفاعيله، فتنفتح بصيرته وترسخ فيه المعرفة بقوة فيسترجعها بسهولة كلما يحتاج إليها. وهذه تظهر بشدة في أولاد الله الوعَّاظ بالكلمة، فهذه مِن مواهب الروح القدس التي ننالها في المعمودية، لأن الروح ينقل إلينا ويعلن ويستعلن كل ما في المسيح حسب الوعد.

وهكذا يوزَن الإنسان المسيحي بميزان الإيمان الذي نال مواهبه في المعمودية وزكّاها بأعماله وسلوكه وشهادته ودراسته في كلمة الله: «وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة، القادرة أن تُحكِّمك للخلاص، بالإيمان الذي في المسيح يسوع. كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً، مُتأهِّباً لكل عمل صالح.» (٢تي ٣: ١٥-١٧)

خامساً: مدى ثقته بالخلاص وبالتالي حفظ العناية الإلهية والاعتماد على إرشاد الله، وفرحه بالنصيب الصالح المعدّ، واشتياقه ليكون مع المسيح هنا وفي السماء:

هذه الوزنة الفاخرة هي ثمرة الإيمان حينما ينضج ويتلألأ ويملأ قلبه وفكره وعينيه وكل مشاعره، فيصبح الخلاص فرحه وتهليله ويفيض من كلامه وعمله وفكره وحديثه كالقديس يوحنا في رسالته الأولى الذي أراد أن يثبت لنا هذا الخلاص والحياة الأبدية والقيامة معاً التي نظرها ورآها

وشاهدها ولمسها وعاينها، كمَنْ يؤكّد بكل حواسه حتى نتأكّد ونشترك معه، فهو لا يهدأ حتى يرى **الكل** قد شارك فيما اشترك فيه.

ونحن نتذكّر بداية هذا الانفعال الإيماني العجيب يوم ركض مع القديس بطرس لينظرا القبر: «فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر (القديس يوحنا يتكلّم عن نفسه) الذي جاء أولاً إلى القبر، **ورأى فآمن**» (يو ٢٠:٨)، فماذا رأى؟ «نظر الأكفان موضوعة، والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان، بل **ملفوفاً** في موضع وحده» (يو ٢٠:٦و٧). وما معنى: "ملفوف" هذا؟ معناه: إن المسيح قد انسَلَت من الأكفان كما تنسلت اليد من القفاز ويُترك القفاز منفوخاً مكان اليد، ورأى المنديل ملفوفاً أيضاً بعيداً عن الأكفان، لأن رأس المسيح قد انسَلَّت أيضاً من المنديل. ثم يقول: "**فآمن**"، فبماذا آمن؟ آمن بأن المسيح قد قام من الموت حيًّا، فكان أول مَنْ آمن بالقيامة، وبعدها رأى الرب القائم من بين الأموات وتكلّم معه وشاهده ولمسه وعاينه وأكل أمامه. لذلك يقول عن حق: «الذي كان من البدء ("الكلمة" أول إنجيله)، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة **أُظْهِرَت** (**بالقيامة**)، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب **وأُظْهِرَت لنا** (**بالقيامة**). الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١:١-٤).

هذه عينة من ثقة وحماس الخلاص!!! تقول لي إن القديس يوحنا قد رأى وشاهد ونظر ولمس، فثقة الخلاص عنده كانت عن رؤية ومشاهدة

ولمس، أقول لك هو سلَّمك تسليماً ما رآه وشاهده ولمسه. ألا تثق بمَنْ وثق؟ ألا تؤمن بمَنْ آمن؟ إنه يُسلِّمك الخلاص يداً بيد وعيناً بعين وقلباً بقلب، ألا يكفيك شهادة رسول؟ القديس يوحنا قد ورث هذه الرؤية والمشاهدة واللمس والإيمان والخلاص وهو يورِّثك معه ما ورث. واعلم أن ميراث المسيح على المشاع: كل مَنْ آمن يرث!

ثم، يا عزيزي، إنْ آمنتَ حقًّا ومن كل قلبك خلصت، هكذا يَعِد الإنجيل! معنى هذا أنك بإيمانك تقبل كل ما قبله الرسل عن عيان وبيان. هذه هي قوة الإيمان وفاعليته المدهشة للعقل: «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو ١١: ٤٠)، هذا فيما يخص الله والسماء. اسمع أيضاً ما يخص الأرض: «إن قلتم أيضاً لهذا الجبل: انتقل وانطرح في البحر فيكون. وكل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه» (مت ٢١: ٢١و٢٢). وباختصار، **بالإيمان ترى مجد الله، وبالإيمان تنقل الجبال.** فالإيمان بالمسيح قوة قد دخلت العالم لتمنح الإنسان قوة عُظمى أعظم من العالم كله لغلبة العالم وميراث الحياة في مجد الله. أتؤمن؟

فالخلاص أكمله المسيح بموته وقيامته من بين الأموات التي وهبت لنا هذا الخلاص الثمين. ولكي يجعل المسيح موته وقيامته **مِلْكاً لكل إنسان، جعلنا نشترك معه في هذا الموت وهذه القيامة.** فمتنا معه وقمنا معه، لكي يكون إيمانك بموت المسيح هو هو موت إنسان الخطية الذي فيك: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية» (رو ٦: ٦). بمعنى أن موت المسيح أمات جسد الخطية وحرَّرنا من الخطية، ولكي يكون إيمانك بقيامة المسيح هو هو قيامة إنسانك الجديد الذي سترث به الحياة الأبدية: «لأنه إنْ كنَّا قد صرنا

متّحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته» (رو ٦:٥)... «حتى كما أُقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضا في جِدَّة الحيـاة.» (رو ٦:٤)

هذا يعني أن إيماننا بموت المسيح وقيامته، **أصبح جزءًا مـن كياننـا**. فـإن كان موت المسيح وقيامته قد أنشأ لنا خلاصاً أبدياً، **فهذا يعني أن خلاصنا الأبدي أصبح أيضاً جزءًا من كياننا!!** فإنْ كان الإنسان المسـيحي نطلـب منه أن يكون له ثقـة كاملـة مطلقـة بـالخلاص، فهـذا الطلـب هـو تحصيـل حاصل لأن **الإنسان المسيحي بإيمانه بالمسـيح يصبـح الخـلاص جـزءًا مـن كيانه** أي أكثر من الثقة والثبوت، إذ هو عائشٌ فيه بكيانه المسيحي.

أما المناداة بالخلاص فقد وضع قانونه سفر الرؤيا: «ومَـنْ يسـمع فليقُـلْ تعالَ.» (رؤ ٢٢:١٧)

الإيمان بالعناية الإلهية:

إنْ كنا قد تأكّدنا أن خلاصنا كمسيحيين هو جزء من كيانـنــا، أي أننـا نعيش فيه، كما يقول عنه بولس الرسـول: «الـذي بـه أيضـاً قـد صـار لنـا الدخول بالإيمـان، إلى هـذه "النعمـة" (= **نعمـة الخـلاص) الـتي نحـن فيهـا مُقيمـون**، ونفتخر علـى رجـاء مجـد الله» (رو ٥:٢)؛ فقـد **أصبـح كياننـا ووجودنا محفوظاً بهذه النعمة**. فالذي أعطانا الخلاص أعطانـا الحيـاة، لأن الخلاص هو الحياة الأبدية التي نعيش عربونها الآن. والمسيح يَعِد خرافه التي تسمع صوته وتتبعه أنه يعطيها حياة ولا يستطيع أحد أن يخطفها مـن يـده: «خرافي تسمع صوتي (الإنجيل)، وأنا أعرفهـا **فتتبعـني**. وأنـا أُعطيهـا حيـاة أبديـة، ولـن تهلـك إلى الأبـد، **ولا يخطفهـا أحـد مـن يـدي**» (يـو ١٠:٢٧و٢٨). فأصبح الإيمان بالخلاص إيماناً بالحياة وباليد التي لا يستطيع

أحد ولا أي قوة في الوجود أن تخطفها منها. إنها يد القدير، فالعناية الإلهية تحيط بحياتنا.

هذا الوعد مقدَّس من فم المسيح، يتحتَّم علينا أن نثق فيه ونرتمي عليه مهما كانت المخاطر والتهديدات، وقد وصفه المسيح وصفاً بديعاً، إذ قال: إن عصفوراً لا يقع إلا بإذن أبيكم، أنتم أفضل من عصافير كثيرة. ويقول القديس بطرس: «**أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن في الزمان الأخير**» (١بط ١:٥)، وأيضاً: «**مُلقين كل همكم عليه، لأنه هو يعتني بكم**» (١بط ٥:٧). فالخروف الذي يسير وراء المسيح لا يخشى الذئب، وإلا ما قال المسيح أنا هو الطريق والحق والحياة: «وجهي يسير (أمامك) فأُريحك» (خر ٣٣:١٤). فنحن نسير وراء المسيح في طريق أَمَّنَ عليه بحياته، فإن داهمك الخطر ابرز الاسم! الإنسان المسيحي يسير في طريق قد طرقته أرجل أنبياء عِظام وقديسين بلا عدد وشهداء أماجد قد تركوا آثار أقدامهم مكتوبة بحروف من نور!

إرشاد الله:

ما من إنسان قد دعاه الله ليسير وراء المسيح إلاَّ وكان المسيح له مرشداً من أول الطريق إلى آخره. قد يتعرَّج به الطريق، وقد يصعب جداً السير فيه، وقد تصيبه تجارب متلاحقة تتلقفه: تجربة وراء تجربة، وفي لحظةٍ يظن الإنسان أنه قد تاه عن الطريق المرسوم وخرج من دائرة عناية الله وإرشاده. هذا وهم من العدو، فالطريق مرسوم لك قبل أن يُحمل بك في البطن، واسمك مقيَّد عليه وهو مقيَّد عليك، ولن تبلغ هذه الحقيقة إلاَّ بعد أن تعبره وتنظر وراءك وتقول: ياه، ياه، هذا كان طريقي حقًّا، الآن علمت وتأكَّدت بالقائل: «أُعلِّمك وأُرشدك الطريق التي تسلكها.

أنصحك. عيني عليك» (مز ٣٢:٨). وتتأكّد أن عينه ما غفلت عنك لحظة. وعندما كان يُحمَّى الأتون تحتك، كان يقيس هو درجته، درجة درجة، ليقول عند الدرجة الحرجة: كفى!!

والصعوبات تُقاس عند الله بقامات الإيمان والثقة والرجاء، فلا تطلب السهل الميسور لئلا يُقاس إيمانك بقياس الأطفال. فكُنْ رجلاً أو كوني كرجل، واحتمل أو احتملي ما للرجال من إيمان ورجاء وثقة لأن الجزاء ثمين. يحكي لي شاب مؤمن ـ أحبُّه كثيراً ـ عن أُمه، وكانت مريضة بالسرطان وتألَّمت آلام الرجال وفاقت قامتهم جميعاً؛ فلمَّا أكملت المشوار، وجاءت النهاية رأت رؤيا أمامها لم يستطع الشاب أن يعرفها، ولكن سمعها تقول: "ياه ياه، هو ده جزائي" بفرح شديد وبوعي شديد، وفارقت الحياة. نعم، كان الجزاء أعظم من العناء!!

فحينما يتصعَّب عليك الطريق فلا تملّ وتقول إن الله قد نسيني، أو أين إرشادك يا رب؟! فإرشاد الله يُقاس بقياسات أعلى من قياساتنا جداً، ولكن المهم أن نكون تحت الإرشاد، والعين والأذن على الصوت والتوجيه، تلتقطه كهمسات لا يحسُّها الجاهل، ولكن الواعي للسير في طريق الله يُدرك التوجيه كلمحة تعبر أمامه يقرأه ويفسِّره ويسير على هُداه: إنْ يميناً أو يساراً، أو قِفْ لا تتحرَّك، حيث يكون في مخالفته هلاك. ولكن العجب العُجاب أنك لا تستطيع أن تخالفه، إذ لا تطيعك رجلك ولا يطيعك الطريق!! إنه سرُّ الإرشاد!!

+ «وتتذكَّر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر لكي يُذلِّك ويُجرِّبك ليعرف ما في قلبك: أتحفظ وصاياه أم لا. فأذلَّك وأجاعك وأطعمك المنَّ الذي لم تكن تعرفه

ولا عرفه آباؤك لكي يُعلّمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان. ثيابك لم تَبْلَ عليك ورجلك لم تتورَّم هذه الأربعين سنة. فاعلم في قلبك أنه كما يُؤدِّب الإنسان ابنه قد أدَّبك الرب إلهك. واحفظ وصايا الرب إلهك لتسلك في طُرُقه وتتّقيه.» (تث ٨: ٢-٦)

إنه سر الإرشاد الذي فيه كل التأديب والتعليم والحكمة. وبالنهاية أرض الميعاد.

الفرحة بالنصيب المعدّ والاشتياق للانطلاق:

نعم، بفرحة النصيب المعدّ يُقاس الإيمان. وهل مَنْ يفرح بكيلة أذرة كمَنْ يفرح بكيلو ذهب؟ هذا هو فارق الفرح بالأرضيات إذا قيس بفرح السماويات الذي يفوق الذهب بلا قياس. لأنه ليس في الأرض كلها ما يساوي في فرحه فرح النصيب السماوي. فانعدام القياس جعلنا محتارين أشد الاحتيار! بماذا نقيس فرح الملكوت؟ بماذا نقيس فرح العُرْس الأخير؟ بماذا نقيس فرح ظهور المسيح ولُقياه؟

لقد حاول القديس بطرس أن يصف هذا الفرح فأتى بكل ما عنده من كلمات فظهرت أقل بكثير: «فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد» (١بط ١: ٨). نحن كلنا نعرف فرح الأرض، ولكن ما هو فرح السماء؟ ما هو فرح الملائكة؟ مرَّة واحدة صدرت من الآب السماوي كلمة قريبة من الفرح الإلهي: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ» (مت ٣: ١٧). "سرور الله"، يا للعظمة والجمال والبهاء والرواء: "سرور الآب بابنه الحبيب"، هو القياس الذي سنأخذه للفرح السماوي وهو بعينه "فرح الآب".

«فقال له سيده: نِعِمَّا أيها العبد الصالح والأمين. كنتَ أميناً في القليل فأُقيمك على الكثير. ادْخل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥:٢١). ففرحتنا بالنصيب المعدّ هي "فرح السيد"، وهي تُقاس "بسرور الآب بابنه الحبيب"، شيء لا يمكن في لغتنا أن يُعبَّر عنه. يكفي أن نكون في فرح السيد ومسرة قلبه كمسرَّته بابنه الحبيب، عِوَض غضب الله الذي كنّا نرزح تحت ثقله مدى الدهر السالف، فرحة كفرحة الأعمى إذا انفتحت عيناه ورأى النور لأول مرة، وفرحة الميت إذا دعاه السيد فقام من نتن القبر ليُعاين الحياة من جديد، وفرحة المحكوم عليه بالإعدام إذا عُفِيَ عنه وأُعطِيَ التعويض، وفرحة يونان عندما لفظه الحوت، وفرحة دانيال بعد أن خرج سالماً من جُب الأسود. ولكن هذه كلها لا تُقاس "بفرح السيد ومسرَّة قلبه" لأن فرح السيد ينعكس على أولاده فلا يكفُّوا عن الحمد والشكر والتسبيح إلى أبد الآبدين.

تاقت نفس بولس الرسول إلى الانطلاق ليكون في هذا الفرح المقيم، ولعلّه قد ذاق شيئاً منه لَمَّا ارتفع إلى السماء الثالثة مسكن القديسين والملائكة، بل وإلى بيت الآب ليكون مع المسيح. هذا رآه "أفضل جداً" (في ١:٢٣)، ومَنْ لا يتوق توق القديس بولس! إنه غاية مسرَّة النفس وقمة المنتهى لرجاء الإيمان. وإنَّ مَنْ يرجو أن ينطلق ويكون مع المسيح، يُثبت حقًّا أنه مع المسيح يعيش! وفي إيمانه يحيا!

سادساً: مدى الحب الذي يفيض من قلب المسيحي المؤمن لكل مَنْ يراه ويتعرَّف عليه، مستهيناً بالعقبات والاضطهادات والمقاومات، ومع الحب التواضع والاحتمال والصبر وتصديق الآخرين وبساطة الأطفال:

والمحبة في موازين الإيمان بالمسيح أكثر الموازين حساسية وأعظمها قيمة.

فالإنسان المسيحي المُحِب سلعة نادرة، يشيع في الجو حرارة أخوية وأملاً ورجاءً، يفتح الأبواب المغلقة ويُسهِّل الصعاب، يُزكّي المظلومين ويُدافع عن حق الضعفاء والمُذَلّين، صديق اليتامى وخادم الأرامل، كل الأماكن الحقيرة والأزقّة والحواري الضيقة والبيوت المُهدَّمة والسراديب التي تحت الأرض ذات رائحة المجاري تعرفه وتعرف زياراته المستمرة وعطاياه وهداياه، من قلبه المُحِب يفيض رحمةً وحناناً ومعونةً للمساكين، يُقتّر على نفسه ليفيض على غيره، يشحذ من الناس ليكفي أفواه الجوعى؛ ذلك كله لأنه يرى في هؤلاء المسيح: العبد المتألِّم والجائع والعطشان، يُبادله حباً بحب «الذي يحبني... أنا أُحبُّه» (يو ١٤: ٢١)؛ وتجد عند المُحِب للمسيح كنوزاً يعتز بها أكثر من الذهب مشلولين ومكسَّحين ومقطوعي الأرجل والأيدي، ومرضى سرطان طريحي الفراش، يُجالسهم ويؤانسهم ويُعزّيهم ويجلب لهم الهدايا التي تُفرِّح قلوبهم، ويتعطّف بالأدوية التي تخفّف آلامهم وتزيل أوجاعهم، وإنْ سألته: مَنْ هؤلاء؟ يقول لك: هم أفراد عائلتي السماوية، أتشرَّف بهم كأوسمة على صدري، وأشعر بسعادتي في وسطهم، لا يستنكف روائحهم المنتنة كرائحة أيوب التي عافتها امرأته، ولا يتقزَّز من جروحهم، فإذا سألته كيف تحتمل هذا؟ يقول لك: صدِّقني أنا أشتمُّ فيهم رائحة المسيح المصلوب والمدفون الذي أخذ خطايانا في جسده على الخشبة وفي القبر من جَرّى خطاياي، التي لو كُشِفَت لكانت أكثر نتانةً وبؤساً، فالذي يسترني يسترهم!

ولكنه لا يخلو من مذمَّة، فالذين يحسدونه كثيرون، وكثيرون يتقاولون عليه رديًّا، أما هو فيستريح في الإهانة، والمذمَّة تُزيده هِمَّة، وكثيرون من رؤسائه يضطهدونه، ولكنه باتضاعه يفلت من أيديهم، وينسى ما يُقال

عليه، ولا يُفكّر فيما يعملون ضده، يعيش يومه ولا يعرف ما يأتيه غده، يبحث عمَّنْ يُحبُّه ويُفتّش عمَّنْ يُحسن إليه. يصبر على المكاره حتى تزول، ولا يتضجَّر لأن المحبة تحتمل كل شيء، فإنْ أطلت التفكير في أعماله وسلوكه فلن تجد إلاّ نفس طفل يحملها بين ضلوعه، لا يشتهي أن يكون أكثر مما هو، ولا يُفكّر فيما يهمُّه بل ما يهم غيره في هذا يُفكّر، ونفسه آخر الكل! يُصدِّق كل شيء، ويرجو كل شيء، طالما هو لخير الآخرين. ثم ألم أقل لك إن المسيحي المؤمن الذي يفيض قلبه بالحب سلعة نادرة؟ في كل مدينة ومدينة، إنْ وجدتَ مثل هذا، تكون قد وجدتَ نسخة إنجيل من القرن الأول، فثمِّنها إنْ قدرتَ!!

سابعاً: مواقف الإنسان تجاه الخسارات والضيقات والتعدِّيات والاضطهادات والإهانات والشتيمة والاتهامات الكاذبة والمحن المختلفة، وكذلك احتمال الأمراض التي يُبتلَى بها والعاهات والعيوب الخلقية وعدم رد الشر بالشر أو التهديد والوعيد:

هذه توزَن بميزان الإيمان المسيحي فتُقبل جميعاً قبولاً حسناً كأنها عطايا من الله حتى ولو بلغت إلى درجة الكوارث. فـ «الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مُبارَكاً. في كل هذا لم يُخطئ أيوب ولم ينسب لله جهالة» (أي ١: ٢١و٢٢)، وكأنه بحكمة صنع. فالإنسان المسيحي عليه أن يضع في قلبه أن الضيقات والاضطهادات والتعديات هي لازمة من لوازم الحياة والإيمان، ويقيس بها الله قامة الإنسان الروحية؛ بل يبني نفسه بناءً خاصاً بها، ومهما اشتدَّت على الإنسان فعين الله ساهرة تقيس كل صغيرة وكبيرة.

والإيمان بالرب يسوع قادر أن يحمل أثقل التجارب، لأن المسيح أعطى

الصليب نموذجاً حيًّا لمنتهى الظلم والحُكم الفاسد وشهادات الزور والقضاء المُجحِف بل والآلام والعذاب حتى الموت، فكان كل ذلك ثمناً لتحريرنا من الخطية والموت وقبضة الشيطان وارتفاعنا لميراث الحياة الأبدية. فأصبح كل ضيق أو اضطهاد أو تعدٍّي أو ظلم أو إهانة أو استبداد مردودًا عليه كشركة في آلام الرب، وحمل الصليب ثمناً لمجد آتٍ وشركة في حياة أبدية. فكل ما يصيب الإنسان في حياته مهما كان ثقله، فهو مردود عليه بآلام الصليب، والمسيح لَمَّا قال بصوت عظيم، أي صرخ: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت ٢٧:٤٦) كان في ذلك يصرخ بفم كل إنسان عندما يبلغ به الضيق والاضطهاد حتى الموت! ليكون عبرة لكل الصارخين أن الرب الإله قد احتمل ما احتمله الإنسان حتى إلى الصراخ، حتى لا يعود إنسان يقول: لماذا تركني الله أتألم وحدي؟ فأنت لن تتألم بأكثر مما تألَّم به الرب يسوع المسيح من أجلك حتى لا تعود آلامك تُحسب آلاماً بل مجداً. فبولس الرسول قد كشف سر الألم لَمَّا قال: «إنْ كنا نتألم معه **لكي نتمجَّد** أيضاً معه» (رو ٨:١٧). وكأن الألم يُرسله الرب خصيصاً لكي يُذيقك مجده، فأصبحت آلامك تُقاس بالمجد العتيد أن ترثه مع المسيح.

ولقد طوَّع بولس الرسول الآلام حتى صيَّرها جزءًا من حياتنا ونصيبنا لَمَّا قال: «إننا موضوعون لهذا» (١تس ٣:٣)، أي جعلنا الله عُرضة للآلام كجزء طبيعي من جبلتنا، وبآن واحد جعل المجد الأسنى الذي لله ثمناً روحياً للآلام التي تصيبنا. يا لعظمة الله وحكمته وقدرته، إذ جعل الجبلة الترابية تحت الآلام ليستطيع أن يرفعها إليه بنفس هذه الآلام!! ولا مفر لأن الجبلة الترابية انحطَّت وتسفَّلت بعصيانها لله ومخالفة وصاياه، فكان علاج الانحطاط: التأليم حتى يُشْفِي عوارها بالكيّ. فلمَّا تألَّم الابن

الوحيد بآلامنا، رفع من قيمة الألم حتى أوصله إلى ما يساوي المجد! «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلّم به الأنبياء. **أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده**» (لو ٢٤: ٢٥و٢٦). هكذا جعل المسيح الألم مدخلاً للمجد! مجداً لله!!

فقُلْ لي، يا حبيبي، ما هو ألمك، وزِدْ وفِض بكل همومك وأحزانك وأوجاعك وأمراضك وظلمك واضطهاداتك، والإهانات والشتيمة التي لحقتك، والنهب الذي نهبت به أموالك، وأنا أقول لك: "يا غبي (لو ١٢: ٢٠؛ ٢٤: ٢٥) (سامحني على هذا التعبير)، أمَا كان ينبغي أن تتألّم بكل هذا لكي تدخل في شركة مجد الابن الوحيد"!!

فافهم وتعلّم، أنَّ الإيمان المسيحي قد وهبك، لا أن تؤمن فقط بالمسيح، بل وأن تتألّم أيضاً لأجله. هذا يقوله الكتاب: «**لأنه قد وُهِبَ لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألّموا لأجله.** إذ لكم الجهاد عينه الذي رأيتموه فيَّ، والآن تسمعون فيَّ» (في ١: ٢٩و٣٠). لقد أعطى القديس بولس نفسه نموذجاً بديعاً في هذا الأمر. فانظر، يا عزيزي، كيف جعل القديس بولس الألم من أجل المسيح موهبة وكأنه عطية بالروح القدس! هذا حقٌّ لِمَنْ يفهم قيمة الصليب ومعنى الألم الذي جازه المسيح من أجلك ومن أجلي!!

السلام لأرواحكم يا شهداء قرطاجنة،
يا مَنْ جعلتم ساحة الأسود والنمور
ملعب مباراة بينكم في مَنْ يأكله أسد
ومَنْ يأكله نمر!!

ثامناً: الغاية والطريق، أنت تختار الغاية، والمسيح يُحدِّد الطريق الذي يؤدِّي إلى الغاية التي تريد:

إلاّ غاية واحدة يُحدِّدها المسيح ويُحدِّد الطريق الذي يؤدِّي إليها، وهي الكهنوت، ولن نتكلّم في هذه الغاية.

الهدف والطريق:

وإن كان الإنسان حُرًّا في اختيار الهدف، سواء كان الزواج أو التكريس أو الرهبنة، ولكن الإنسان المسيحي المؤمن ليس حُرًّا في نفسه لنفسه، وإنْ كان يتهيَّأ له ذلك فهو مخطئ، لأن الإنسان المسيحي ليس إنساناً عادياً حُرًّا بطبيعته كابن آدم لأنه عبدٌ للخطية مستعبد للشيطان، وبالتالي عبد لأركان العالم الميت. أما الإنسان المسيحي فهذا قد حرَّره المسيح من عبودية الخطية، ومن عالم الموت، ومن أركان العالم المُظلمة، وأدخله في حرية مجد أولاد الله لميراث عالم الروح في الحياة الأبدية. فأصبح اختياره لأهدافه يتحتّم بالضرورة أن يكون في دائرة اختيار أولاد الله بما يتناسب مع بنوتهم الروحية لله وانتمائهم لعالم الروح وحياة الأبد! سواء كان اختياراً للزواج أو التكريس أو الرهبنة.

أ ـ فإن كان اختيار الهدف للإنسان المسيحي هو الزواج:

فهو ليس بعد كاختيار الإنسان الطبيعي لنداء غرائزه الطبيعية كأي حيوان، ولا هو للتوافق مع مجتمع الإنسان ليكون رجلاً اجتماعياً كباقي الناس، ولا هو لتحاشي الخطية والزلل ليكون إنساناً سوبرمان.يعفّ عن الخطية والزلل. بل الإنسان المسيحي حينما يختار الزواج ليكون هدفاً له، فذلك لكي يتوافق مع طبيعة أولاد الله الروحية ليكون إنساناً حُرًّا في ذاته غير مستعبد للخطية، يحيا حياة الحرية الحقيقية الصادقة التي تتناسب مع

مطالب بنوَّته الروحية لله وانتمائه لعالم الروح وحياة الأبد فوق كل شيء وقبل كل شيء، لأن هدفه الأساسي هو الله والحياة الأبدية. وإن أدخل هدف الزواج على حياته فهو يلزم أن يكون تابعاً وخاضعاً وعاملاً على أساس هدفه الأساسي لعبادة الله، لميراث الحياة الأبدية، لإنشاء نسل لله، ولميراث الحياة الأبدية.

لذلك فإن الزواج المسيحي يتم في الكنيسة من أجل الكنيسة وليس من أجل الشارع أو المجتمع حتى وفي أرقى صوره. ويتم من تحت يد الله التي يضعها الكاهن على رأسي الخطيبين معاً، فهو زواج من أجل الله. لذلك أصبح الطريق الذي يسلكه الإنسان المسيحي المتزوِّج هو طريق المسيح الذي قال إنه الطريق والحق والحياة، لأنه بدون المسيح لا يوجد طريق يوصِّل إلى الله أو الحياة الأبدية.

فإذا اخترت الزواج يختار لك الله الطريق ليصير زواجاً لمسيحي مؤمن حقًّا، فأنت تختار الزوجة أيّ من تشاء بالأوصاف والصفات التي تريد، ولكن الله يتدخل في أن يُحدِّد لك الطريق لزواج صالح لمؤمن مسيحي صالح.

ولسنا هنا بصدد البحث عن الزوجة الملائمة لك بالأوصاف التي تريد، ولكن إنْ سمحت وجعلتنا نتدخّل لندلّك على الزوجة الفاضلة التي تناسبك، نقول الآتي:

١ - تكون من بني جنسك أفضل، حتى تتوافق صفات وأخلاق بني الجنس الواحد.

٢ - تكون من ديانتك وعقيدتك، حتى يضمّكما إنجيل واحد، أي كلمة الله بتفسيرها الواحد.

٣ ـ تكون تقيَّة متدينة مُحِبَّة لله والمسيح والكنيسة، مواظبة على الصلوات والأصوام التي تقررها العقيدة.

٤ ـ تكون بقدرٍ ما متواضعة باذلة تحب خدمة الفقراء ولا تشمئز من مناظر المساكين والمرضى ورؤى العاهات، لأن هذه علامة أكيدة تكشف عن علاقتها بالمسيح، لأن هؤلاء هم إخوة المسيح أو إنْ شئت فهُم المسيح، وهو القائل: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم.» (مت ٢٥:٤٠)

٥ ـ أن يكون لكما فكر واحد أو فكر متفاهم، ورأي واحد أو رأي متفاهم، خاصة في المال والغِنَى والقنية الزائدة عن الحد، لأنها مُضرة للحياة المسيحية والإيمان المتعاقد على رأي المسيح والإنجيل، وأن تتعاهدا معاً على حفظ وصايا المسيح ودراسة الإنجيل والامتناع بتاتاً عن الحفلات الماجنة واقتناء التليفزيون وبهرجة الحياة المُتلفة للصحة والمال. واحذرا من البخل والإسراف، وغواية الزينة والملابس المسرفة في الأناقة والحُليّ التي قد مضى زمانها.

وإليك رأي الإنجيل في الزواج المسيحي:

فسرُّ الزواج في المسيحية عظيم كما وصفه بولس الرسول، ولكن عظمته أُعلنت لَمَّا استُعلنت علاقة المسيح **بالكنيسة** كعريس وعروس مقدَّسة، ليس كما كانت إسرائيل الكنيسة العتيقة المُطلَّقة، ولكن إسرائيل الجديدة أبناء الله، الكنيسة الجديدة المفديَّة، جسد المسيح، العروس التي اقتناها وغسلها بدمه، والتي هي أنت وأنا والذين على بُعد، كل مَنْ أكل الجسد وشرب واغتسل بالدم ويدعو باسم الرب.

+ فسرُّ الزواج في المسيحية هو صورة حيَّة مُعاشة لِمَا فعله المسيح مع الإنسان الجديد، الخليقة الجديدة للبشرية، التي أقامها من الموت وصارت من لحمه وعظامه. ما معنى هذا؟ معناه أن الرجل والمرأة في الزواج قد صارا جسداً واحداً، كما صارت البشرية في المسيح لَمَّا تجسَّد، وغسل الجسد بعد ذلك بدم صليبه، فصار في المسيح مقدَّساً وبلا لوم في محبة الآب أمام الله. هكذا المحبة الإلهية ودم المسيح في سر الزيجة يجعلان من الرجل والمرأة جسداً واحداً، صورة حيَّة للكنيسة. لذلك يقول بولس الرسول بالروح: «أيها الرجال، أحبُّوا نساءكم كما أَحَبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها» (أف ٥:٢٥)، حبًّا لا يفصله إلاَّ الموت. لأن سر الزيجة بيننا الآن يستعلن لنا الملكوت السماوي جزئياً على الأرض حينما يكون على مستوى الحب والسعادة السماوية، كما يَستعلِن لنا الراهب والمكرَّس المسيحَ في آدم الأول الذي كان على صورة الله قبل أن يخلق له امرأة! فأصبح جيداً أن يكون وحده.

هكذا أصبح على الرجل والمرأة أن يحتفظا بجوار حبِّهما الطبيعي الجسداني حبًّا سماوياً إلهياً أقوى من الموت. لأن جسدهما الواحد المتَّحد بالسر الإلهي أصبح يمثِّل الكنيسة، أو بالحري يمثِّل جسد المسيح ثمرة حُب الآب. فالغضب والمغاضبة تخدشه، والخصام والقطيعة تصلبه لموت ليس فيه قيامة، ما معنى هذا؟ معناه أنهما قد اقتنيا معاً جسداً واحداً من عند الرب كوديعة، يحفظان سلامته كحدقة العين. لأن أي إهانة للجسد بعد سر الزيجة إهانة للقدوس الذي جمعهما ووحَّدهما في نفسه بنفسه!!

ولكن هذا الأمر ليس هيناً، فالمجرِّب أُطلق على المسيح بعد سر الأُردن وحلول الروح القدس ليُجرِّبه جسدياً ونفسياً، ولكنه غلب وجاءت

ملائكة لتخدمه. هكذا سر الزيجة يترصَّده الشيطان عدو الحب والسلام ليُزعزعه وعينه من عمل الروح القدس الذي ملأهما ووحَّدهما في الجسد الواحد، لأنه يعلم أن اقتحامه سر الزيجة في صميم وحدة الجسد هو محاولة ليُنحِّي الروح القدس ويفكّ الوحدة المقدسة ويفكّ الرباط الإلهي، لأن في ذلك نصرة لسلطانه والتشفِّي من سلطان المسيح والروح.

فانظر أيها الزوج وانظري أيتها الزوجة: إن زواجكما، إما يكون نصرة للمسيح والروح القدس باحتمال المحبة الروحية وصبر المسيح، أو يكون نصرة للشيطان والتشفِّي من المسيح فيكما. فالوزنة التي اؤتمنتما عليها كبيرة وخطيرة وليست من هذا العالم مع أنها في هذا العالم تعيش وتشهد.

+ واعلم أيها الزوج أنك قد اقتنيت إناءً مقدَّساً من الرب ـ «أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة» (١تس ٤:٤) ـ يحمل اسم الرب بل روحه القدوس، لتُقدِّمه هدية للكنيسة والرب: وهو ملآن من ثمرة بطنك أولادًا وبناتاً للمسيح يُفرِّحون قلب الآب السماوي الذي «سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته» (أف ١:٥) ليفرح بنا كأولاده. فافهم واعلم أنك قد تزوَّجت لحساب الله لتُنشئ له أولادًا وبناتٍ يفرح بهم الله وتفرح بهم الكنيسة. لذلك يدعو بولس الرسول هنا أن «يعرف كل واحد أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة»، فما معنى أن الرجل يقتني المرأة بقداسة وكرامة؟

معناه أن سيرة الزواج والإنجاب تشملها هالة من القداسة لتُخرجها من شكلها الطبيعي الحيواني وتعطيها جوهرها الإلهي الروحي، لأن المولود منها هو ابنٌ لله أو بنتٌ لله لتقديس الرب وتكميل خلاصه وعمل صليبه. فالمرأة ورثت وظيفة العذراء القديسة مريم لأنها تُكمِّل عملها، فالعذراء

ولدت القدوس؛ والمرأة في المسيح تلد القديسين. فإن كانت كل الأجيال تطوِّب العذراء فعلى كل الأجيال أن تكرِّم المرأة: «لأن المُقدِّس والمُقدَّسين جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة» (عب ٢:١١)، «وأيضاً ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب ٢:١٣). فبالحقيقة أن الرجل الذي يتعامل مع امرأته بقداسة وكرامة هو إنسان قد أدرك من أين يجيء النسل المقدَّس؟ ومِمَّن يتقدَّس؟ ولِمَنْ؟

+ وفي الزواج كعلاقة ثنائية، جزؤها الجسدي الصرف يقوم على حق كل منهما على الآخر، فيقول بولس الرسول: «لِيُوفِ الرجلُ المرأةَ حقها الواجب، وكذلك المرأةُ أيضاً الرجلَ. ليس للمرأة تسلُّط على جسدها، بل للرجل. وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلُّط على جسده، بل للمرأة. لا يسلب أحدكم الآخر... لكي لا يُجرِّبكم الشيطان بسبب عدم نزاهتكم.» (١كو ٧:٣-٥)

والمعنى هنا ينصبُّ على أوقات حاجة الطبيعة الجنسية. فللمرأة حاجتها الجسدية للرجل، وللرجل حاجته للمرأة، كل منهما للآخر. هنا يقطع القديس بولس بالنزاهة في الحُكْم، فلا تمتنع المرأة وقت حاجة الرجل إليها وإلاَّ تكون قد تسلَّطت على جسدها أي صارت هي المتحكِّمة في جسدها تمنعه وقت حاجة الرجل. كذلك الرجل لا يتسلَّط على جسده فيمنعه عن المرأة وقت حاجتها إليه. هذا ظلم وقسوة خطيرة الواحد تجاه الآخر. هذا عَاقِبته مُرَّة، لأن الشيطان واقفٌ بالمرصاد يلعب بفكر المظلوم لِيُشبع رغبته الجسدية عن طريق الحرام.

هنا تجربة خطيرة يمكن أن تدمِّر السر والحياة الزوجية كلها إذا تدخَّل الشيطان ليثير الغيرة والغضب والنقمة ويُحرِّف المسار المقدس الذي

يجمعهما على الوفاق والنزاهة، فيلتفت الواحد كيف يُرضي جسده بعيداً عن الآخر فتكون لطمة شديدة لسر الزواج وقداسة النسل، ويُمرِّغ الشيطان كلاً منهما في طين النجاسة والزنا. الأمر الذي ينهي على السر المقدس بل وعلى جسد الكنيسة الذي هو جسد المسيح.

وتكون دينونة مريعة على المُسبِّب للانحراف! لذلك:

+ وبناءً عليه يقول بولس الرسول في موضع آخر: «ليكن الزواج مكرَّماً عند كل واحد والمضجع غير نجس...» (عب ١٣:٤). هنا بولس الرسول يعود ويرفع سر الزيجة المقدس إلى مكانته الروحية عند الكنيسة والمسيح، فيكون الزواج مُكرَّماً كعقد مقدَّس، كرامته من كرامة الكنيسة التي أجْرَته، وكرامة المسيح الذي دخل كشريك بين الاثنين ليجمعهما فيه إلى واحد مقدس، إناءً طاهراً يحمل نسلاً مُباركاً. ويحذِّر بولس الرسول من أن كرامة السر وقداسة العقد مربوطة بقداسة فراش الزوجية الذي هو بمثابة الثوب الأبيض في سر المعمودية الذي سيكون هو لباس العُرس. هكذا فراش الزوجية، يُعبِّر عن حفظ قداسة السرّ مكرَّماً، الذي سينكشف في يوم استعلان سرائر الناس يوم الدين.

+ ويتغنَّى سفر الأمثال بفضيلة الزوجة ويقول: «امرأة فاضلة مَنْ يجدها، لأن ثمنها يفوق اللآلئ. بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة» (أم ٣١:١٠و١١). وقد وجدناها في بيت الرب عند مذبح الرب قائمة منحنية برأسها للذي يسكب عليها كل فضائل المسيح ومواهبه يوم إكليلها، ويد المسيح موضوعة على رأسها بجوار رأس عريسها تتقبَّل نعمة التقديس، ويلف رأسها عقد من اللؤلؤ إمعاناً في تفسير سفر الأمثال. وإن كان سفر الأمثال يراها عِوَض غنيمة، نراها نحن ثروة بحد ذاتها تدبِّر بيتها

بالنعمة فيفيض بخيرات المسيح.

أما الطريق الذي يتدخل فيه المسيح ليدلك على الزواج الصالح للمسيحي المؤمن الصالح فهو وأول كل شيء أن تحب امرأتك كنفسك، حبًّا صادقاً من القلب. تعتني بمشاعرها لأنها لم يَعُد لها في الوجود غيرك، تبذل من أجل راحتها، وتتحاشى ما يكدِّرها، لا تُعيِّرها إطلاقاً بمناقص تراها فيها لأنها أصبحت جسدك من لحمك وعظمك، لأن سر الزيجة في المسيح يسوع يجعل الاثنين واحداً، لا يلغي شخصك ولا يلغي شخصها، ولكن يجمعهما معاً في شخص واحد هو "أنت وهي" معاً في واحد لا يمكن تفريقه. ما يُفرحك يفرحها، وما يُحزنك يحزنها، لأنكما جسدٌ واحدٌ. لا تنتهرها لأنك لست سيداً عليها ولا هي سيدٌ عليك، ولكنكما على قدرٍ واحد من الكرامة. ما يهينك يهينها وما يهينها يهينك. وهنا لا نتجاهل فارق الطباع وفارق التربية، فبالتفاهم تتقابل الأفكار والآراء والأمزجة، فما تعلَّمَتْه هي في عشرة أو عشرين سنة لا تقدر أن تلغيه في يوم، وأنت كذلك لا تستطيع أن تلغي طباعك أو مزاجك في يوم. ولكن كلمة السر أقولها لكما: إن من أجل المسيح وحب المسيح اقبلا بعضكما بعضاً، والمسيح يُكمِّل كمالكما المسيحي بالحب والإيمان الصادق. لأن الإيمان المسيحي قادر أن ينقل الجبال (مت ٢١:٢١). فهل يقف الإيمان عاجزاً أمام توحيد قلبيكما وفكركما في المسيح؟ واحذرا أن تحتكِما لإنسان مهما كان، ولكن إنْ اختلفتما فقفا أمام الرب واحتكِما للمسيح وهو يطَيِّب قلبيكما، واحذرا أن ينتهي الخلاف بينكما إلى قطيعة أو خصام لأن هنا يتدخل الشيطان ويلقي بذار الخلاف والتحدِّي. لذلك يلزم لكما في بدء حياتكما معاً أن تتعاهدا أمام المسيح أن لا تتخاصما قط مهما بلغ

الخلاف بينكما لأن الخصام هو أصبع الشيطان، لا تجعلاتـه يدخل بينكما أبداً أبداً.

جلسة الإنجيل:

ليكن مقرراً لكما بتعهُّد أمام الله أن تخصِّصا وقتاً لكلمة الله، فتجلسان معاً أمام الكتاب المقدس بعد صلاة قصيرة تطلبان فيها حضور الرب حسب الوصية: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠)، وطبعاً الثالث هو الابن الذي يرزقكما الله أو الابنة. وحضور المسيح يُسهِّل مفهوم الكلمة ويكشف المعنى المختبئ فيها، وحضور المسيح له فاعلية في الفكر أي الذهن الروحي لكلٍّ منكما. فالمسيح قادرٌ أن يفتح الذهن ليستطيع استيعاب معنى الإنجيل بسهولة ومن خلاله يتدخل الروح القدس فيرشد ويفسِّر ويعزِّي.

هذه الساعة التي تُخصِّصانها لقراءة الإنجيل سوف تكون بركة حياتكما، تزيدكما حبًّا لبعضكما، وتملأ قلبيكما سلاماً وهدوءًا وسكينة لمواجهة أعباء الحياة. كلمة الإنجيل تردُّ على كل مشكلة تواجهكما، لأن المسيح دائماً يستخدم كلمته لتوصيل رسالته للقلوب المفتوحة.

الصلاة:

قبل النوم تقفان معاً في حضرة الرب، وكل واحد يذكر للمسيح اعتذاره وتقصيره ورجاءه أن يزداد أمانة وقُرباً وحبًّا للرب حتى يسكن القلب ويدبِّر الحياة ويبارك الفكر والرأي والمشيئة، فتصير المشيئة مقدسة باسمه، وتصفحا عن بعضكما قبل النوم.

وفي الصباح يتكرر الأمر، فصلاة الصباح هي مفتاح خيرات اليوم كله،

لأن بصلاة الصباح يتقــدَّس اليـوم كلـه بسـاعاته ويتدخـل المسـيح في كـل مشاكله ويقدِّم لكما الحلول السريعة ويبارك على كل عمل وكل فكر.

كذلك صلاة قبل الأكل وقوفاً حول المائدة ليحضر المسيح كَسْرَ الخبز ويُبارك ويُقَدِّس طعامكما وحياتكمـا. فحضـور المسـيح وقـت الطعـام هـو مسرَّةٌ له: «**شهوة اشتهيتُ أن آكل هذا الفصح معكم** قبل أن أتألم» (لـو ٢٢:١٥)، ولا يزال يشتهي المسيح أن يُشارِك أحباءه كسر الخبز.

كذلك بعد الأكل وقفة شكر لِمَا قدَّم المسيح مـن طعـام وعنايـة اليـوم كله، لأن الشكر يُزيد البركة.

الترتيل:

الصلاة في طبيعتها أكثر من ثلثيها تسـبيح، والتسـبيح فيـه الشـكر وفيـه التمجيد لله الآب وفيه تحقيق الرجاء بحضور الرب ومباركة البيت والأولاد والداخلين والخارجين، لكي يكون بيت بركة وبيت طهارة. ولكـل ميعـاد ترتيلة مناسبة تصدر بفرح وتهليل من قلوب مرفوعة لله. ويا حبذا أي زائر يشترك في الترتيل فيزداد البيت سلاماً وحبًّا وأُلفة.

وإذا حضر أي ضيف وأردتما أن تبعداه عـن دواخلكمـا والكـلام الـذي ليس فيه منفعة، ابدآ بالترتيل وامضوا بقية الوقت في قراءة الإنجيل.

الفُسحة:

هـذه أوقـات هامـة جـداً لتجديـد الفكـر والأعصـاب والـدم، إنْ في المنتزهات أو على شاطئ النهـر أو البحـر بمشـوار طويـل يُجـدِّد العضـلات والخلايا وخاصة القلـب والصـدر. واحـذرا قضـاء السـهرات في الأمـاكن العامة فإنها إتلافٌ لكل شيء.

هذا هو طريق الرب لِمَنْ اختار حياة الزيجة المقدسة.

ب ـ وإذا اختار الإنسان المسيحي هدف تكريس الحياة كلها لله للخدمة:

فليس ذلك هروباً من الزواج أو التزامات الزواج سواء عن نقص أو استعلاء، وليس أيضاً فرصة لحياة طبيعية غير ملتزمة بشيء للاستمتاع بالحياة الدنيا بدون ارتباك أو قيد، يأكل فيها الإنسان ويسكر ويتنزَّه دون رقيب. فهذا سلوك الشاب الأعزب الهارب من وجه الله وقيود المجتمع: «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم؟ لأنكم قد اشتُريتم بثمن. فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١كو ٦: ١٩و٢٠). ولكن المكرَّس الحقيقي لله هو ملتزم بخدمة الله، فهو تنحَّى عن الزواج ليهتم فيما للرب وليس فيما يُرضي امرأته. فأنت إن اخترتَ تكريس الحياة كلها للخدمة تكون قد اخترت الرب وطريق الرب، أو أنك اخترت أن تكون مختاراً للرب! ونِعْمَ ما أنت فاعله فإنه النعمة عينها.

نصوص في الموضوع:

+ «ولكن أقول هذا على **سبيل الإذن** لا على سبيل الأمر. **لأني أُريد أن يكون جميع الناس كما أنا. لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله.** الواحد هكذا والآخر هكذا (الواحد بتول والآخر متزوج).» (١كو ٧: ٦و٧)
+ «**ولكن أقول لغير المتزوِّجين وللأرامل، إنه حسنٌ لهم إذا لبثوا كما أنا.** ولكن إنْ لم يضبطوا أنفسهم، فليتزوَّجوا.» (١كو ٧: ٨و٩)
+ «**فأُريد أن تكونوا بلا هَمٍّ. غير المتزوِّج يهتم في ما للرب كيف يُرضي الرب.**» (١كو ٧: ٣٢)

+ «إنَّ بين الزوجة والعذراء فرقاً: **غير المتزوِّجة تهتم في ما للرب لتكون مقدَّسة جسداً وروحاً.**» (١كو ٧: ٣٤)

+ «**هذا أقوله لخيركم، ليس لكي أُلقي عليكم وَهَقاً** (not to restrict you = حصر / قيْد / حرج)، **بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك.**» (١كو ٧: ٣٥)

+ «**وأما مَنْ أقام راسخاً في قلبه، وليس له اضطرار، بل له سلطان على إرادته، وقد عَزَم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه، فحسناً يفعل.** إذاً، مَنْ زَوَّج فحسناً يفعل، **ومَنْ لا يُزَوِّج يفعل أحسن.**» (١كو ٧: ٣٧و٣٨)

وبناءً على ذلك قطع بولس الرسول بهذه الموازنة الفردية: «إذاً، مَنْ زوَّج فحسناً يفعل، ومَنْ لا يُزوِّج يفعل أحسن». أما هذه الموازنة الفريدة فهي ليست اعتباطاً ولكن هنا عامل التكريس لله يتفوَّق بركنين كبيرين: الأول **أنه يهتم فيما يُرضي الرب**، والثاني **أنه يحفظ جسده وروحه مقدَّسين.**

وهكذا نرى أن اختيار الإنسان المسيحي للتكريس الكلِّي لله يتحتَّم أن يستوفي حق هذين الركنين الكبيرين: الأول أن يهتم فيما يُرضي الرب من صلاة وعبادة وتقوى وصوم، والثاني أن يحفظ جسده وروحه مقدَّسَيْن لله.

والتكريس الكامل للحياة مع الله هو في حقيقته اختيار حياة البتولية، أي بدون زواج في قداسة السيرة، كما كان القديس يوحنا الرسول، وكما كان بولس الرسول؛ وقد اختار المسيح الاثنين للرسولية فلم يتزوَّجا، فوقفت الرسولية نصيراً للبتولية بكل تأكيد. ولكن الذين اختيروا للرسولية وهم متزوِّجون - كبطرس الرسول - بقوا كما هم، أي أن الرسولية تُقدِّس أيضاً الزوجية.

وواضح من كلام بولس الرسول أنه كان متحمِّساً جداً للبتولية بدوافع: بعضها زمني بحسب تعبيره "بسبب ضيق الأيام"، وبعضها انحياز واضح **لخدمة وإرضاء الله**، وبعضها شعور بتفوُّق البتولية في الحياة المسيحية حسب الإيمان المسيحي: «**لأني أُريد أن يكون جميع الناس كما أنا**» (١كو ٧:٧)، حتى تصوَّر إمكانية العمومية لولا منعه بقوله إنها موهبة مُعطاة من الله «كل واحد له موهبته الخاصة من الله»، الواحد بتول والآخر متزوِّج، وبعضها انحياز للقداسة «**تهتم في ما للرب لتكون مقدَّسة جسداً وروحاً**»، وبعضها استحسان عام «**ومَنْ لا يُزوِّج يفعل أحسن**».

ومن هذا السرد البديع لدفاع بولس الرسول عن بتوليته التي كرَّمها المسيح بالرسولية وأكرمها بأن تكون إناءً مختاراً لحمل اسمه لملوك وأُمم؛ نقول إنه دفاع ماهر، ولكنه بآن واحد قد أخذ حذره جداً في الاندفاع في هذا المضمار. فأولاً وضع منذ البداية **أنه لا يُعطي في ذلك أمراً** حتى لا يندفع أي إنسان ويقول إنه يُنفِّذ أمراً لبولس الرسول، **فقال إنه يُعطي مجرد إذْن**، ولكن حتى هذا الإذْن عاد فوضعه بين قوسين أي رَفَع من الإذْن مسئوليته إذ يقول بعدها: **إن البتولية على كل حال موهبة خاصة من الله**، ثم يعود بلباقة كرسول ويعتذر للذين سيختارون البتولية، أنها وإن كانت تُحسب أنها وَهَقاً أي انحصاراً أو تقييداً أو حرجاً، فإنما هذا أيضاً يصبح لائقاً لأن في البتولية خيركم!!

ومن هذا السرد المُتقَن كله نخرج بأن البتولية عند القديس بولس، أي تكريس الحياة كلها لخدمة الرب وإرضائه، هي أعلى قيمة وأفضل نوعية من الزواج لأنها لخدمة الرب وإرضائه، وأنها لتقديس الجسد والروح.

وأظن أن هذا يُزكّي حياة التكريس بالدرجة الأولى.

على أن القديس بولس يُنوِّه بأهمية شديدة على رسوخ الإرادة وعزم القلب، وأنَّ مَنْ يختار التكريس لا يكون تحت اضطرارٍ ما، ولكن - وهذا يهمُّنا هنا غاية الاهتمام - يقول: «ولكن إنْ لمْ يضبطوا أنفسهم، فليتزوَّجوا. لأن التزوُّج أصلح من التحرُّق» (١كو ٧:٩)، أي بحسب التعبير الإنجليزي: to burn with passion أي يلتهب بالشهوة!

وهنا يلزم من جهة حفظ الإيمان المسيحي في حدود القداسة والبر، أن نقول إن الشهوة الجنسية تثور ثورتها الطبيعية تحت تأثير ضغط الإفرازات الجنسية المحبوسة، فإذا أخذت هذه الإفرازات الجنسية **الطبيعية** طريقها إلى الخارج (بدون جماع) يكون ذلك: إما بالاحتلام الليلي إذا لم يُهيِّج الإنسان أعضاءه، أو بالمرور في مجرى البول، ويحسُّها الإنسان دون أن يتأثر بها؛ إن حدث هذا يكون ضماناً أكيداً لعدم ثوران الشهوة الجنسية.

وهذا التصريف **الطبيعي** للإفرازات إما يأتي طبيعياً للشاب أو بالتمرين بضبط الجسد وعدم الإذعان لثورته. وعلى أي حال، فالأكل ونوعيته يحتاج إلى تقنين، أي يخلو من المُهيِّجات لشهوة الأكل، لأن بين شهوة الأكل والشهوة الجنسية علاقة لابد أن تُضبط: إنْ في الكثرة، أو في زيادة الدسم، أو في الأنواع المُهيِّجة كالتوابل.

وبهذا نكون قد أرضينا بولس الرسول في كلمة: "أَقمع جسدي وأستعبده"، وفي كلمة: "يضبط نفسه".

نأتي هنا إلى نوعية الخدمة:

في الكنيسة الرسولية الأولى ظهرت هذه الحاجة إلى الخدمة بين المؤمنين

الجُدُد، فكرَّسوا أي رسموا لها سبعة شمامسة أي خُدَّام، كانوا من نوعية روحية ممتازة جداً، وإن كانت خدمتهم في الأول كانت تختص بتوزيع الأموال والتغذية. ولكن ظهرت غيرتها الملتهبة بالروح القدس للبشارة والتعليم والدفاع عن الإيمان حتى إلى الاستشهاد كما رأينا في القديس إستفانوس، وكان هذا الشماس كتابياً حافظاً التوراة والتاريخ ببراعة، وقد سرد في تحقيق واحد أمام السنهدريم المجتمع للمحاكمة كل أعمال شعب إسرائيل التي أغاظوا بها الله من موسى حتى صَلْبِ المسيح، ووضع جريمة الصلب على رؤوس الشيوخ ورؤساء الكهنة بتحدٍّ وهجوم منقطع النظير، فكان نصيبه الرجم، ولكن أثناء الرجم ظهر له يسوع المسيح في السماء - وكان هذا هو أول ظهور سمائي بعد الصلب للمسيح - وهو عن يمين عرش الآب.

نفهم من هذا أن التكريس الكامل يكون بالرسامة والمسحة (وضع اليد) ليكون المكرَّسون طغمة على مستوى طغمة الكهنوت تماماً، ولكن ذا اختصاص موازٍ: الرسل لخدمة الكلمة[٣] والصلاة في الهيكل، والشمامسة أي المكرَّسون لخدمة الشعب المؤمن بالمسيح، ومع الخدمة البشارة بملكوت الله والدفاع عن الإيمان الأقدس. ثم تحوَّل الشمامسة السبعة إلى كارزين بشَّروا بلاداً وأُمماً، على مستوى الرسل تماماً. ولكن الذي يسترعي اهتمام الكنيسة والتاريخ الكنسي أن الشمامسة حلَّ عليهم الروح القدس وكانوا ممتلئين من النعمة.

هذا يفتح أمامنا مدخلاً جديداً نُطالب به، أن يكون للمكرَّسين في

---

(٣) وصار معناها في الكنيسة: الحفاظ على استقامة الكلمة.

الكنيسة طغمة رسمية خاصة غير طغمة الشمامسة التي تخصَّصت في خدمة الكنيسة والأسرار والمردَّات، ولا عمل لها على الإطلاق خارج الكنيسة بين المؤمنين. ونطالب أن يكون لها قانونٌ يُحدِّد كيانها وعملها وواجباتها وحدودها، وتأخذ صفة الكرازة الحُرَّة سواء على المنابر داخل الكنائس أو بين المؤمنين في أماكنهم وبيوتهم كافتقادٍ بالكلمة أي بالإنجيل، أو افتقاد الفقراء والمرضى والمعوزين في أماكنهم الذين قال عنهم المسيح إنهم إخوته بل يحملون شخصه!

ويكون المكرَّسون درجات درجات حسب قوة الكلمة وحسب قوة الخدمة ونشاطها. لأن ليس في الكنيسة الآن مَن يتبنّى رعاية الفقراء والمرضى بأنواع أمراض صعبة بالآلاف المؤلَّفة وهم مطروحون في البيوت تحت الأرض لا يدري أحد عنهم شيئاً، يجوعون ويئنون ويموتون تحت عِلمنا وبصرنا كل يوم! ومَنْ يخدم حالة يترك ألف حالة، وإنْ خدم يخدم بعشرة أو عشرين جنيهاً لا تكفي ولا تغني عن جوع.

كما نوصي أن لا يكون للمكرَّسين أو المكرَّسات زيٌّ معيَّن، بل يكون ملبسهم بسيطاً وكفى، حتى يستطيعوا أن يخدموا بحرية في الحارات والخرابات والعشوائيات دون ملاحقة صبية الشوارع.

خدمة الكلمة:

خدمة الكلمة تعني خدمة الروح القدس لفتح أعين العُمي روحياً ليروا نور المسيح ويسيروا في النور في زماننا هذا المدموغ بالظلام. خدمة الكلمة تعني هزّ قلوب المؤمنين من على المنابر وفي البيوت لحياة التوبة، لأن زماننا زمن انتزاع السلام وعودة الارتداد وتوقف عمل الخلاص والإقبال على الإيمان بروح التوبة، وقد صار الجوع والعطش إلى الرب يسوع سمة

العصر. خدمة الكلمة تعني فتح الأذهان التي انسدّت بالأغاني، وفتح العيون التي عميت بالتليفزيون ومناظر الأجساد العارية. خدمة الكلمة تعني تلقين الشباب والرجال وصايا المسيح، لأن ألسنتهم قد انخرست من سماع كلمات البذاءة والقباحة والسَّفه من التليفزيون في داخل البيوت وفي غرف السهرة والنوم! خدمة الكلمة تعني نجدة للأولاد الصغار ورفعهم من حمأة الطين الذي غطسوا فيه وهم يرون آباءهم يغنُون أغاني الشوارع والبارات، فشبُّوا على النجاسة وأتقنوا فنونها وهم عيال مدارس.

خدمة الكلمة قبل أن يضم الشيطان بقية محترفي القداسة والوعظ وهم يدرسون كُتُب السحر، ليمدَّهم الشيطان بعمل المعجزات ويتكلّموا بالروحيات المزيَّفة وهي كلمات ممزوجة بمهارة شيطانية لجمع أكبر عدد ممكن من أولاد المسيح تحت لواء الشيطان.

خدمة الأجساد:

نريد مسحاً كاملاً لبيوت الفقراء والمرضى بكل أنواع الأمراض وأسمائهم وعناوينهم في كل حي، والأماكن التي يستحيل على إنسان عادي أن يتعرَّف عليها، وفي عشوائيات البلاد والمدن؛ ومسحاً كاملاً للمشلولين والمصابين بالسرطان والفشل الكلوي والعُمْي والعُرج والمُقطَّعين، حتى نستطيع أن نخدمهم ونداويهم ونرعاهم بعد أن تُنظّم خدمتهم رسمياً في معهد من المتخصِّصين وتخصَّص لهم مرتبات ثابتة تزداد ولا تنقص، فيعرف كل خادم أين أولاده الصارخين من عدم الرحمة. بيوت وأُسر كل دخلها لا يزيد عن معونة قدرها عشرون أو ثلاثون جنيهاً، والزوج مشلول طريح الفراش، في هذا الزمان الذي فيه العشرة أرغفة بجنيه والعشرين قرص "طعمية" بجنيه، فإنْ أكلوا بكل المعونة خبزاً وطعمية ما

تكفيهم!

ج ـ أما إذا اختار الإنسان المسيحي الرهبنة لتكون هدفاً لحياته:

فهو يكون ملتزماً بكل ما قلناه في التزام الذي كرَّس حياته كلها لله، وبالأكثر في قضاء حياته كلها مهتماً فيما يُرضي الرب. أولاً من صلوات وتسابيح وأصوام وعبادة وتقوى وسهر الليالي، وثانياً في حفظ جسده وروحه مُقدَّسَيْن لله. الجسد بالطهارة بعدم التلذُّذ بالراحة ولا المناظر والأسماع ليكون مقدساً للرب، والروح بعدم الخضوع لموحيات الشيطان من الغضب والخصام والقطيعة والعداوة التي هي من عمل روح الشيطان التي تفسد روح الإنسان؛ بل عليه أن يُغذِّي روحه بالتأمُّل والتسبيح والترنيم والألحان لتتوافق مع الروح القدس وتتقدَّس.

على أن الراهب الذي قد كرَّس حياته كلها لله فيما يُرضي الرب وحَفَظ جسده وروحه مقدَّسَيْن لله، غير ملتزم بخدمة الناس ولا المجتمع بأي صورة تُخرجه عن ديره أو صومعته التي فيها يستوفي هدفه الروحي. ولكن، بآن واحد، كان الآباء يكدُّون ويتعبون بشغل أيديهم في صناعة المقاطف والسلال الليف وغيرها، لا ليكون لهم اكتفاء ليُطعموا أنفسهم، بل وليُطعموا الفقراء والمعوزين من ثمن عمل أيديهم. فهي خدمة رأوها من البدء جليلة، لأن الفقراء والمرضى محسوبون إخوة المسيح بل وكشخص الرب ذاته: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم» (مت ٢٥: ٤٠). فأصبح عمل أيديهم جزءًا أساسياً في عبادتهم وإرضاءً للرب.

فالرهبنة هي بتولية كاملة متخصِّصة لخدمة مجد الله والمسيح بالتسبيح والصلاة، الليل والنهار، ولكن ليست خدمة بين الناس، فهي خدمة قاصرة

على الإلهيات فقط، وليس لها خلطة بين الناس. فنعتوها بأنها خدمة ملائكية، ودعوا الرهبان بشراً سمائيين.

- وأبو الرهبنة في مصر وفي العالم كله هو القديس أنطونيوس، وهو ناسك إنجيلي، إنسانٌ قد امتلأ من الروح القدس وأسماه الروح الناري، وعلّم الرهبان أن يسعوا في طلبه لكي يمتلئوا منه "كما قبلته أنا أيضاً". ودعاهم أن لا يستصعبوا السؤال. فالمثابرة والخدمة أسماها "جهاد الصلاة"، يُعطَى لهم فيُسهِّل عليهم الحياة في العبادة والنسك ويملأهم من معرفة الله والإنجيل. والقديس أنطونيوس أوضح بتعاليمه أنه إنجيلي حقّاً، وكل تعاليمه هي قائمة على أُسس إنجيلية صرف تبرهن على امتلائه من الروح القدس، ليس بالمعجزات التي هي خاصة بخدمة الناس، بل بالمعرفة الروحية المستنيرة والحكمة الإلهية العالية، وخدم جيله من الرهبان بمشورة الله وبدعوة منه لأن الله قد أطال حياته إذ قال له إنه سيبقيه كأُم حانية تربِّي أولادها حسناً. فعاش ١٠٥ سنوات وتنيَّح شيخاً شبعان أياماً ونعمة، ولم يمرض أو يفقد أسنانه، بل تنيح عن صحة بسلام، واستودع جسده التراب كالوصية "يا آدم من التراب جئت وإلى التراب تعود". أما روحه فانطلقت إلى السموات العُلا تبشِّر الملائكة بقدوم زميل يقود الخوارس لأنه كان رئيساً عظيماً من الله كإبراهيم.

- وكان القديس أنطونيوس لا يعرف اليونانية، لذلك سمُّوه أُميًّا، ولكنه كان يجيد قراءة القبطية لغة بلاده ويقرأ بها الإنجيل ويُعلِّم. وكان له تلاميذ أحصاء كثيرون منهم أماثاس ومكاريوس اللذان أوصاهما أن يواريا جسده التراب بعيداً ويخفيا أثره حتى لا يعرف أحد مكان

قبره. وأيضاً كان له تلاميذ ديره الخاص في بسبير. وقد ذاع خبره واسمه وتعاليمه في كافة نواحي مصر والأقطار المحيطة، وقد زار نتريا وتعرَّف على أب رهبنة نتريا القديس آمون وهو زميل رهبنة. وزاره القديس مقاريوس الكبير المصري مرتين أو ربما أكثر.

- وقد انتشرت تعاليمه في كل أرجاء مصر والعالم وتتلمذ على تعاليمه ألوف وملايين. والعجيب أن كل رهبان العالم يعتبرونه أباهم لأنهم وجدوا فيه شخصية رسولية إنجيلية روحية حُرَّة منطلقة. وهو لم يَرَ الأب باخوميوس، ولكن سمع عنه لَمَّا زاره تلاميذ القديس باخوميوس وأوصاهم أن يُسلِّموا على أبيهم واستحسن نظام الأب باخوميوس الذي وضعه لرهبانه.

- والقديس أنطونيوس نموذج واضح للرهبنة القبطية في نشأتها، فهو عاش متوحِّداً منذ البدء بعد أن تعلَّم قليلاً على يد متوحِّد كان يعيش في نواحيه، وانطلق يعيش في وحدته الخاصة على مقربة من البحر الأحمر بقية أيام حياته. وكان يزور أولاده في بسبير من حين إلى حين ليُعلِّم الذين اجتمعوا إليه من كافة الأقطار.

والرهبنة القبطية كما ظهرت ونمت ونضجت في مصر، هي انطلاق حُر لعبادة الله حسب وصية المخلِّص بترك الأب والأُم والأخ والأُخت واتِّباع المسيح في حَمْل الصليب. فهي نموذج لحياة توبة كاملة طول العمر، ونسك وإماتة للذات ولشهوات وروح العالم، والتوفر على كلمة الله لاستخلاص الحياة الأبدية منها وفيها، وإتقان وصايا الرب واتِّباع روحها وتوجيهاتها في حياة تأملية صافية تخلو من ارتباكات العالم والحياة الزوجية في غير استعلاء ولا ترفُّع. لأن جوهر النسك الرهباني هو التواضع والعفة

والفقر. وهي هي الرهبنة والهدف.

أما الطريق:

فالطاعة الكاملة لوصايا الرب على يد مرشد يكون قد اختبر الطريق، واكتشف أعوازه وأمجاده وروح التواضع والمسكنة والفقر، لا مظهرياً ولكن في عمقه الروحي النفسي. فقلاية الراهب أو مغارته كانت لا تحوي إلاَّ مرقده وأدوات عمل يديه وكانوناً صغيراً يسوّي فيه سليقته من بقل أو عدس أو خلافه، ومقطفاً معلّقاً على الحائط به خبزات كانت طريَّة ولكنها بقيت مقدّدة أياماً وشهوراً، وقليلاً من الماء يبل به ريقه وخوصه الذي يجدله في صنع المقاطف، وإنجيله أو رقوقه إن كان متعلّماً. ثم صار الراهب يقتني كتاب الأساس: "بستان الرهبان" الذي يتعلّم عليه، كما تعلّمتُ أنا، وكان لا يوجد غيره في ديري الذي ترهَّبتُ فيه، فحفظته وشرحته وعلّقت عليه في مخطوط بقلايتي موجود حتى الآن!

ويحوي كتاب "بستان الرهبان" كل ما يخص حياة الراهب من تعاليم ووصايا قائدة رائدة، ولعلَّ أعظم وصية فيه التي تخص الطريق هي: إنْ أردتَ أن تكون راهباً كاملاً متعلّماً، فادخل قلايتك وأغلق بابك خلفك، وارهن ظهرك على بابها من الداخل طبعاً، والقلاية تُعلّمك كل شيء. بمعنى لا تخرج تتجوّل في الدير كالتائه، ولكن الزم الوحدة في قلايتك. فلا تَدَع أحداً يدخلها ولا تخرج منها، وصَلِّ وركّز صلاتك في مخاطبة المسيح بكل ما تريد وتشتهي أن تعرف، والمسيح يُعلّمك كل شيء: «لا تدعوا مُعلّمين (على الأرض)، لأن مُعلّمكم واحد (وهو) المسيح» (مت ٢٣: ١٠)، يشرح لك إنجيله، ويشرح لك مشيئته من جهة حياتك، ويُحكّمك للخلاص، ويملأك بروحه القدوس وبكل كنوز الحكمة والمعرفة

التي اذَّخرها في نفسه من أجلك. والمعنى هنا ينصبّ على الاكتفاء بالإنجيل والمسيح: هذا تقرأه، وذاك يشرحه لك. ولن تعوزك قط أي معرفة روحية لازمة للخلاص مهما علت وسمت. ففي الإنجيل كل اللاهوت وكل التاريخ وأخبار الأوَّلين والآخِرين؛ بل الإنجيل هو الألف والياء، والأول والآخِر، البداية والنهاية، وهذا هو الطريق!

والذي يقرأ كلامي هذا يتهيَّأ له أني أكتب لراهب في القرن الثالث، لا فأنا أكتب للراهب في كل زمان ومكان، وأعرف ما كتبتُ وعشتُ في الرهبنة المنقطعة ما يزيد على الخمسين سنة، وعلَّمني الرب ما تعلَّمتُ. وأقول في مسكنتي إن المسيح لم يعوزني شيئاً من العلم والمعرفة، وأنا لم أدرس كتباً للعلم ولكن كتبتُ كتباً للمعرفة، ولم أرجع لكتب الآباء أو العلماء إلاَّ لأُظْهِر للقارئ أن ما أكتبه حق. فأصبحت نصيحتي لِمَنْ يقبل الرهبنة - كما وصفتُ - أن يدخل قلايته ويغلق بابه ويرهن ظهره للباب من الداخل طبعاً، والقلاية تعلِّمه كل شيء كما تعلَّمتُ!

وإن أردتَ بعض النصائح للطريق، فإليك خبرتي في الخمسين سنة التي عشتها في هذا الطقس الجليل:

+ إن أردتَ أن ترث الحياة الأبدية: فاستهِن بمصاعب الحياة التي تصدمك كل يوم بمتاعب جديدة، ولا تعتبر لجسدك أو لنفسك قيمة في عيني نفسك، وضع وصية المسيح أمامك: «مَنْ يُهلك نفسه من أجلي يجدها» (مت ١٦: ٢٥)؛ تهلكها تحت أرجل وأيدي الناس، تجدها حيَّة وتستلمها من يد المسيح مضيئة بنوره أمام الملائكة والقديسين.

+ لا تنسَ وصية بولس الرسول أبداً: «نُشتم فنُبارك، نُضطهد فنحتمل. يُفترى علينا فنعظ» (١كو ٤:١٢و١٣). والمسيح بين الناس قد دُعِيَ: "المُهان النفس، مكروه الأُمة، عبد المتسلّطين" (انظر إش ٤٩:٧)، الذي كان عند الآب: «ابني الحبيب الذي به سُرِرْتُ.» (مت ٣:١٧)

+ لا تكسل عن الصلاة ويغلبك العدو، ولا تُسوِّف العمر باطلاً. فأمانتك الأولى في الرهبنة هي الصلاة في وقتها، لا بمجرد التلاوة بل بقلبٍ صاحٍ ونفسٍ واعية، ودموعك في عينيك، تقيس نفسك على وصايا الرب كلمةً كلمة أثناء الصلاة، فيقترب منك ويُعزِّيك.

+ المحبة الأخوية من قلب طاهر بشدة يقول عنها القديس يوحنا إنها تنقل الميت إلى الحياة: «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة، لأننا نُحِبُّ الإخوة» (١يو ٣:١٤). ويقول عنها المسيح: «وصية جديدة أنا أعطيكم: أن تحبوا بعضكم بعضاً» (يو ١٣:٣٤)، ويُكمِّلها: «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي: إن كان لكم حُبٌّ بعضاً لبعض» (يو ١٣:٣٥). فاعلم تماماً أنك إذا لم تستطع أن تتتلمذ للمسيح في الدير، فلن تقدر أن تكون له تلميذاً قط.

+ واسمع هذه النصيحة من بولس الرسول لأنها ثمينة جداً جداً للرهبان: «لا تغرب الشمس على غيظكم، ولا تُعْطُوا إبليس مكاناً» (أف ٤:٢٦و٢٧). يعني: يتحتّم عليك أن تبيت مرتاح القلب والضمير، غافراً للآخرين وطالباً مغفرة الآخرين، ولو ألزمك هذا إلى التذلّل والانسحاق. لأنك إنْ نمتَ والغضب في قلبك فسوف تبيت في حضن إبليس ليسكن معك، وتفارقك النعمة.

واعلم هذا جيداً، أن صناعة الراهب الحكيم المتلمذ للإنجيل هي أنه لا يسمح أن يكون له عدو ولا يُعادي إنساناً قط. فكُنْ وديعاً وتواضَع تحت يد إخوتك، حتى يرفعك المسيح في يوم الافتقاد.

انتهى القول: كيف نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس؟!

(كُتبت أثناء أسبوع الآلام، وانتهت مساء يوم عيد القيامة سنة ٢٠٠٠)

يُطلب من:

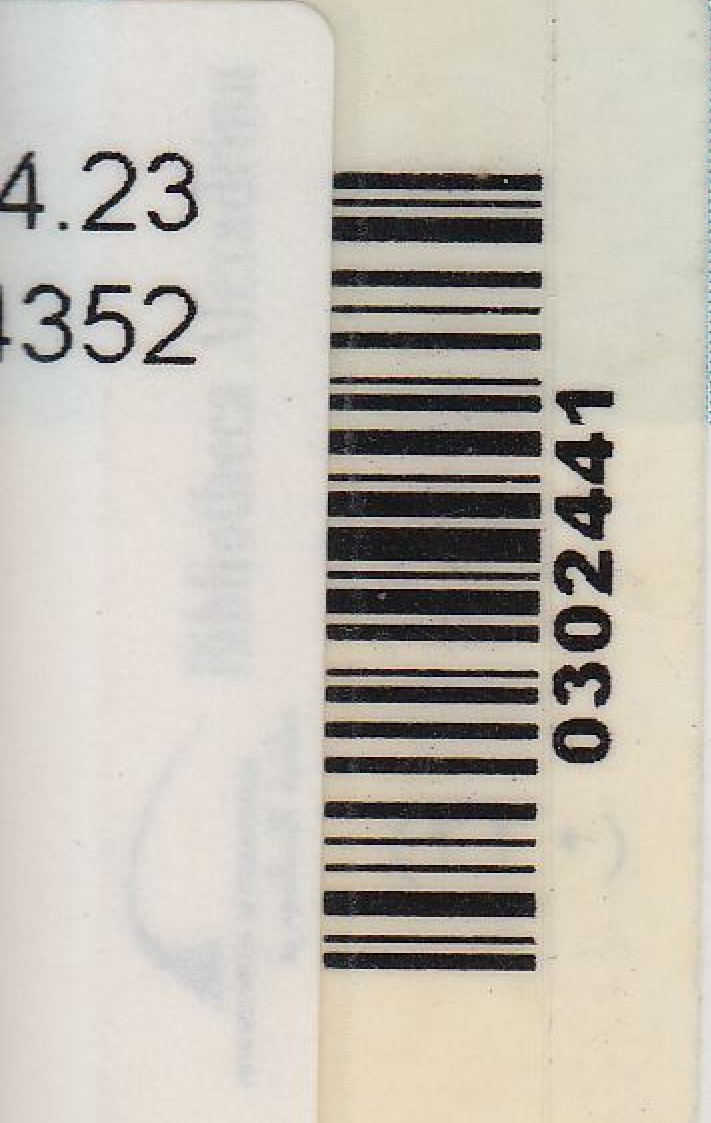
دار مجلة مرقس

القاهرة: ٥٠ «أ» شارع شبرا ـ ت ٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء ـ المنشية ـ ت ٤٨٤٠١١٠

- الإيمان المسيحي شقَّان:
- الشق الأول: وهو الإيمان اللاهوتي العقائدي الكنسي العام.
- والشق الثاني: وهو الإيمان الذي يُعبِّر به المؤمن عن علاقته الخاصة بالآب والابن والروح القدس، ومدى اعتماده على الله والمسيح وفاعلية الروح في تفكيره وسلوكه وكلامه، ومقدار شهادته للمسيح أمام الآخرين بأعماله وسلوكه وأقواله.

- وقد خصَّصنا هذه المقالة لعرض لمحة عن الإيمان الشخصي: ما له وما عليه.



الثمن جنيه واحد